أحمد الشرقاوي إقبال

بانت سعاد

في إلمامات شتى



دار الغرب الإسلامي

بَانت سُعَاد

في الإمَامَات شتى

تأليف

أحمد الشرقَاوي إقبال

دار الغرب الإسلامي

الطبعة الأولى

1991

دار الغرب الإسلامي

ص. ب: 5787 - 113

بيروت - لبنان

إهـــداء

إلى الدكتور محمد حجي
في أيام تكريمه بالرباط
سـنة 1990م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقدمة

هذه إلمامات بأشياء شتى مما يتصل بقصيدة بانت سعاد مدحة كعب ابن زهير في نبي الإسلام، عليه الصلاة والسلام، كنت أجمعها على مُكْثٍ، وَبِنِيَّة نشرها إن شاء الله، حتى إذا شارفت إتمامها سنة 88 من القرن وقعت إلي دراسة نفيسة عن بانت سعاد من صنعة الدكتور السيد إبراهيم محمد بعنوان «قصيدة بانت سعاد وأثرها في التراث العربي» فكدت، بعد قراءتها، أفرِّق ما جمعته وأُلغيه استغناء بالجادّ عن المُسَلِّي، واكتفاءً بالوَازِنِ عن الخفيف، ثم بدا لي أن أخرج ما جمعته ليكون بملتقطاته وطرائفه رَديفاً لكتاب الدكتور وتماماً على الذي أحسن فيه، والله يُوزِعُنَا وإياه القصد الكريم، ويهدينا فيه إلى السبيل القويم آمين.

أما بعد، فقد تأذَّن الله، تعالى جَدُّه، وجلت عظمته، في كتابه العزيز، أن يرفع ذكر نبي الإسلام، عليه الصلاة والسلام، فلا جَرَم أن يعلو شأن من تعلق منه بسبب، وكذلك كان الأمر في كعب بن زهير، وفي قصيدته بانت سعاد التي نالت من الحظوة والعناية ما لم تنله قصيدة عربية عند الأولين والآخرين.

لقد أصبحت بانت سعاد جزءاً من السيرة، فاهتم بها كتاب السيرة نصاً وإسناداً وخبراً بما فيه الكفاية.

وتهمّم اللغويون والنحويون والأدباء بوضع الشروح عليها من بسيط ووسيطٍ ووجيز، وكان من شراحها من نحا في شرحه منحى لغوياً، وكان

بينهم من نحا منحى نحوياً، وآخرون نحوا منحى أدبياً. كل فريق منهم اتّجه في شرحه بما يغلب عليه من علم واختصاص، ثم وجد من شراحها من نحا في شرحه منحى صوفياً على جهة الرمز والتأويل، وأفرد بعضهم إعرابها بالتأليف، وبعضهم خصّ واحداً من أبياتها بتويليف مستقلّ. وأخيراً فإن عليها شروحاً بغير العربية، فارسية وتركيّة.

ونالت الحظوة التي هي جديرة بها عند أصحاب الاختيارات، فانتقاها أبو زيد القرشيّ في اختياره الذي سماه: جمهرة أشعار العرب، واصطفاها من بعده محمد بن المبارك البغدادي في مجموعه الذي سماه: منتهى الطلب، من أشعار العرب، وجعلها الأولى فيه.

وتولّع بها الشعراء معارضة وتشطيراً وتخميساً وتضميناً، واستشهد بأبياتها أهل العربية في اللغة والنحو والبلاغة، وعُني بها طائفة من المستشرقين نشراً ودراسة وترجمة إلى اللغات الأعجمية...

ذلك وما إليه مما يتصل بالقصيدة الكعبية هو ما حاولت جمعه وتخريجهِ في الصفحات الآتية بعنوان: «بانت سعاد في إلمامات شتّى» بعد تقديم فِقَرٍ في ميلاد كعب ووفاته وشاعريته وديوانه وحادثة إسلامه التي كانت مناسبة لإنشاء «قصيدة بانت سعاد» التي إليها القصد والمراد.

ميلاد كعب ووفاته

لا يعرف ميلاد كعب بالتحديد ولا بالتقريب، فمن قال في ذلك بشيء فيه أو في غيره من عامّة الشعراء الجاهليين والمخضرمين فإنما قاله رجماً بالغيب، ولا تتحدد وفاته أيضاً بميقات معلوم إلا أن بعض المحدثين من مؤرخي الأدب العربيّ حاولوا أن يحددوا وفاته بشيء من التقريب، فجعلوا عمره يمتدّ إلى خلافة معاوية استناداً منهم إلى الخبر الذي يذكر أن معاوية رغب أن يشتري من كعب البردة التي كان النبي عليه السلام قد وهبه إياها فلم يجبه كعب إلى ذلك ضنانة منه بثوب كان النبي يضعه على جسده

الشريف، فلما توفي كعب عاودت معاوية الرغبة، فأخذ البردة من ورثة كعب بمال كثير، وفي تلك الحال، وعلى صحّة الخبر في أمر البردة يبقى الاحتمال في وفاة كعب هل كانت أول خلافة معاوية أو في وسطها وحتى في أواخرها، وتلك فترة تمتد زهاء العشرين سنة، وعليه فلا يكون تحديد لميقات الوفاة وإن في زمن مقارب.

فأما القدماء من كتاب السيرة والمؤرخين والأخباريين فلم يذكروا في ذلك شيئاً لا منقولاً ولا محزوراً، وذلك ما يُدْلي به ابن كثير في البداية والنهاية (4 :374) فيقول:

«ولم يؤرخ (يريد ابن عبد البر في الاستيعاب) وفاته، وكذا لم يؤرخها أبو الحسن ابن الأثير في «كتاب الغابة، في معرفة الصحابة»، ولكن حكى أن أباه توفي قبل المبعث بسنة، فالله أعلم».

شاعرية كعب

لا يشك عارف بالسجية الشعرية أن كعباً شاعر مطبوع، وأتَمَّ ذلك عليه أنه تخرج فيه بأبيه المحنّك صاحب «الحوليّات»، وقد كانت تربيته في تخريجه قاسية قسوة بالغة كما تخبر بذلك الحكاية الواردة في ديوان زهير بشرح أبي سعيد السكري (ص 256 - 259) من طبعة دار الكتب، وهذا نصها باقتضاب:

«قال ثعلب: تحرَّك كعب وهو يتكلم الشعر، فكان زهير ينهاه مخافة أن يكون لم يستحكم شعره فَيُرْوَى له ما لا خير فيه، فكان يضربه في ذلك، يفعل ذلك به مراراً يضربه ويزبرة، فطال ذلك عليه فحبَسَه ثم قال: والذي أحلف به لا تتكلم ببيت شعر ولا يبلغني أنك تريغه إلا ضربتك ضرباً ينكلك عن ذلك، فمكث محبوساً عدّة أيام، ثم أُخبر أنه يتكلم به، فدعاه فضربه ضرباً شديداً ثم أطلقه في بَهْمِه وهو غُلَيِّم صغير، فانطلق فرعاها ثم راح بها عشية وهو يرتجز:

كـأنـمـا أحـدو بِبَـهْمِـي عِيـرا   مـن القُـرى مُـوقَـرَة شعـيـرا

فخرج زهير إليه وهو غضبان، فدعا بناقة وكفلها بكسائه، ثم قعد عليها حتى انتهى إلى ابنه كعب فأخذه بيده فأردفه خلفه ثم خرج يضرب ناقته وهو يريد أن يتعنّت ابنه كعباً ويعلم ما عنده ويطلع على شعره، فقال زهير حين برز من الحيّ:

إنّي لتُعـديني على الهم جَسْرَةٌ   تخبّ بـوصّـال صَـروم وتُعْنِـق

ثم ضرب كعباً وقال: أَجِزْ يا لُكَعُ فقال كعب:

كبنيـانـة القـرئي مـوضـع رَحْلِهـا   وآثـار نسعيهـا من الـدفّ أبلق

فقـال زهـير:

على لاحب مثـل المجـرّة خلتَـه   إذا مَا عَلاَ نشزاً من الأرض مُهْرَق

ثم ضرب كعباً وقال: أجز يا لُكَع، فقال كعب:

مـنيـر هـداه لـيله كـنـهـاره   جميـع إذا يعلـو الحزونـة أفـرق

ثم بدأ زهير في نعت النعام وترك نعت الإبل فقال يعتسف به عَمْداً:

وظـل بـوعسـاء الكثيب كـأنـه   خبـاء على صقبي بـوانٍ مـروق

فقـال كعـبٌ:

تراخى به حبّ الضحاء وقد رأى   سَمَـاوة قشـراء الـوظيفين عـوهق

فقـال زهيـر:

تحنّ إلى مثـل الحبـابيـر جُثَّمٍ   لـدى منتـج من قَيْضِهـا المتفلّق

ثم قال: أجز يا لُكَعُ، فقال كعب:

تحطم عنها قَيْضُها عن خراطـم   وعن حـدق كـالنبـخ لم يتفنق

فأخذ زهير بيد ابنه كعب ثم قال: قد أذنت لك في الشعر».

وتشهد هذه المُمَاتَنَةُ بين كعب وأبيه على اقتداره في ارتجال الشعر والإتيان به من غير تراخ ولا إبطاءٍ، وهو ما حمل أباه على الإذن له في قول الشعر بملء فيه.

ومما كان يستعمله زهير في تربية ابنه وتخريجه ترويته الأشعار وإلزامه بحفظها، ومن ذلك جاء المثل الذي يقول: «تشمرت مع الجاري» وهو مما دَوَّنَهُ الميداني في أمثاله (ص 134) وفسّر معناه فقال ما نصه:

«تشمرت السفينة إذا انحدرت مع الماء، وشمرتها أنا إذا أرسلتها، يضرب في الشيء يستهان به ويُنْسَى، وقائله كعب بن زهير، وإنما قال هذا المثل حين ركب هو وأبوه زُهير سفينة في بعض الأسفار، فأنشد زهير قصيدته المشهورة وهي:

أمِـن أم أوفـى دِمْنـةٌ لـم تكـلـم

وقال لابنه كعب: دونك فاحفظها، فقال: نعم، وأمْسَيَا، فلما أصبحا قال له: يا كعب، ما فعلت العقيلة؟ يعني القصيدة، فقال: يا أَبَتِ، إنها تشمرت مع الجاري، يعني نسيتها ففرت مع الماء، فأعادها عليه وقال: إن شمّرتها يا كعب شمرت بك على إثرها».

تصنيـف كعـب ورتبتـه

يصنف كعب في الشعراء المخضرمين، ورتبه ابن سلام في كتابه «طبقات فحول الشعراء» (97:1) ضمن الطبقة الثانية من الشعراء الجاهليين، ومعه فيهـا أوس بن حجر أولاً، فبشر بن أبي خازم ثانياً، ثم رتب الحطيئة مِن بعده رابع الطبقة وآخرها.

ويقارب خلف الأحمر بين زهير وابنه كعب في الرتبة فيقول: «لولا قصائد لزهير ما فضلته على ابنه كعب».

ويتطابق قول خلف هذا مع ما ادعاه كعب لنفسه في بعض شعره إذ قال:

أنا ابن الذي قد عاش تسعين حجة ... فلم يخز يوماً في مَعَدٍّ ولم يُلَمْ
أتى العجم والآفاق منه قصائد ... بقين بقاء الوحي في الحجر الأصم
أقول شبيهاتٍ بما قال عالماً ... بهنّ ومن يشبه أباه فما ظلم

اعتراف الحطيئة بشاعرية كعب

ولم يستنكف الحطيئة مع اعتداده بنفسه ومكانته في الشعر من أن يرجو كعباً أن ينوه به كشاعر، وأن يرتِّبَه ثُنْيَاناً من بعده، وذلك ما حكاه ابن سلام في الطبقات (1:104-105) والقُتيبيّ في الشعر والشعراء (1:106-107) وأبو الفرج الأصفهاني في الأغاني (17:82-83) قالوا، واللفظ للأخير:

«أتى الحطيئة كعب بن زهير فقال له: قد علمت روايتي لكم أهلَ البيت وانقطاعي إليكم، وقد ذهب الفحول غيري وغيرك، فلو قلت شعراً تذكر فيه نفسك وتضعني موضعاً بعدك، وقال أبو عبيدة في خبره: تبدأ بنفسك فيه وتثنِّي بي، فإن الناس لأشعاركم أروى، وإليها أسرع، فقال كعب:

فمن القوافي؟ شانها من يحوكها ... إذا مضى كعب وفوّز جرول
يقول فلا يعيا بشيء يقوله ... ومن قائليها من يُسيء ويعمل
كفيتك لا تلقى من الناس واحداً ... تنخَّل منها مثلٍ ما يتنخل
يُثَقِّفها حتى تلين مُتُونها ... فيقصر عنها كلٌّ ما يتمثل

قعدية كعب في الشعر

والشعر في كعب موروث ومورَّث معاً، فزهير والده شاعر من فحول الجاهليين ومن رجال المعلقات، وجده ربيعة المكنِيّ بأبي سلمى شاعر، وعمته سلمى شاعرة، وخالُ أبيه بَشَامَة بن الغدير شاعر، وأخوه بُجير شاعر، وابنه عقبة الملقب بالمُضَرَّبِ شاعر، وحفيده من ابنه عقبة المسمّى بالعوام شاعر كذلك.

هذه الوراثة الشعرية لاحقاً عن سابق وفي طولها وعرضها هي ما أجمل القول فيها ابن سلام إجمالاً في طبقاته (1 :110) فقال:

«ولم يزل في ولد زهير شعر، ولم يتصل في ولد أحد من فحول الجاهلية ما اتصل في وُلْدِ زهير، ولا في وُلْدِ أحد من الإسلاميين ما اتصل في وُلْدِ جرير».

ديـــوان كعـــب

يوجد ديوان كعب مع شرح أبي سعيد السكري عليه في مخطوطة محفوظة بمكتبة الجمعية الشرقية الألمانية تمت كتابتها سنة 533هـ.

ويوجد أيضاً مع شرح أبي العباس الأحول عليه في مخطوطة بمكتبة أسعد أفندي فرغ منها ناسخها سنة 553هـ.

وعلى هاتين المخطوطتين كانت طبعة دار الكتب المصرية لديوان كعب بشرح السكريّ عليه سنة 1950م، ثم صدرت له طبعة عليها بعناية الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة سنة 1965م.

والشعر الذي يضمه هذا الديوان بين دفتيه لا يتجاوز ستمائة بيت ويضع عشرات بحسبان الفائت الذي استدركه المحقق وألحقه بآخر الديوان، ولا يتوازى هذا القليل مع شهرة كعب الواسعة، فالظاهر أنه قد ضاع من شعره مقدار غير يسير، ومنه فيما يبدو الشعر الذي كان يذكر فيه الإسلام والمسلمين من قبل إسلامه.

وتأتي عامة شعره في الوصف، ووصفه مستغرق في الناقة وفيما يستطرد إليه عند وصفها من نعت الحمار الوحشي أو النعامة أو طائر سريع الركض ليضاهي سرعة ناقته بسرعة تلك الأصناف من الحيوان، وقد يستطرد داخل استطراده إلى وصف الصائد وهو يتربّص بالحمار ليقتنصه، ويكون كعب في كل ذلك وصَّافاً مُحْسِناً مُجِيداً.

وتعرض كعب للذئب بالوصف في أبيات من إحدى قصائد الديوان فسلكه ذلك في زمرة الذين نعتوا ذلك الحيوان فأجادوا وأحسنوا، ومنهم المرقش الأكبر، والشنفرى، وحميد بن ثور الهلالي، والفرزدق من المتقدمين، ثم البحتري، والشريف الرضي من شعراء العهد العباسي.

وخلا شعر كعب من المديح إلا اللاميّة التي قالها في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام والاعتذار إليه، وقد ضمنها مدح المهاجرين من الصحابة رضي الله عنهم، وإلا الرّائيّة التي قالها في مدح الأنصار عليهم رضوان الله.

وأما الهجاء في الديوان فإنما هو كُلَيمات وتعريضات دسها في شعره الذي كان يقوله في العتاب والمماحَكات.

ولا غزل في الديوان غير ما جاء في مطالع بعض القصائد، وفيه من الرثاء مقطوعتان ليس إلا، ولم يَعْدُ فيه شعر الحكمة خمسة أبيات تفرقت في قطعتين إحداهما من ثلاثة أبيات، والأخرى من بيتين ينسبان أيضاً إلى أبيه.

والشعر في قليل ذلك وكثيره نمط جاهلي لا تشوبه شائبة.

إســـلام كعــب

لعل الحدث الأجلّ في حياة كعب هو إسلامه الذي كان الباعث على إنشاء القصيدة التي إليها يساق الحديث فيما يأتي، فلنسق الحديث إليه على ما ساقه عليه أصحاب السيرة والمؤرخون والأخباريون ملفّقاً وفي اقتضاب واختصار.

كانت أُولَيَاتُ القرن الثامن الميلادي موعداً لخَبَرٍ ملأ الجزيرة العربية وشغل ناسها، ذلك هو قرب مبعث نبي يدعو إلى الرشد ويهدي إلى الصراط المستقيم.

تحدث بذلك غير واحد من الذين تألهوا أو درسوا كتب الأديان، وتنبأ به الكهان، وكثرت الرُّؤى التي تبشر به، وإذ كان في تلك التوقعات والتَّرَجّيات أن المبعوث سيكون عربيّ النسبة فقد رجا بعض المتألهين من

العرب أن يكونه، وذكروا ذلك عن الشاعر المتأله أَمَيّة بن أبي الصلت.

وكان من الرؤى المبشرة بذلك رؤيا زهير بن أبي سلمى التي قصّها صاحب الأغاني (17 :88) فقال:

«قال أبو زيد عمر بن شبة: ومما يروى أن زهيراً كان نظاراً متوقفاً، وأنه رأى في منامه آتياً أتاه فحمله إلى السماء حتى كاد يمسها بيده، ثم تركه فهوى إلى الأرض، فلما احتضر قص رؤياه على ولده وقال: إني لا أشك أنه كائن من خبر السماء بعدي شيء، فإن كان فتمسكوا به وسارعوا إليه».

فإن تكن الرواية بذلك صدقاً فهو قد يكون الباعث لبجير وأخيه كعب في قصدهما إلى الرسول، صلى الله عليه وسلم، ليفتشا أمره، وليعرفا ما يدعو إليه، ولا داعيَ إلى التنطس في رد مثل هذه الأخبار كعلل وأسباب لما نحن فيه.

وبدون ذلك فإن الهزة العنيفة التي أحدثها ظهور الإسلام في الجزيرة العربية تدعو كل ذي نظر إلى اتخاذ موقف مُوَالٍ أو مناوىء للدين الجديد، ولا يكون ذلك دون لقاء صاحبه والاستماع إليه، وليكن هذا سبباً في وفود الأخوْين على الرسول عليه الصلاة والسلام.

وهذه بداية الحكاية كما أوردها بسندها أبو الفرج في أغانيه (جـ 17 ص 88) فقال:

«أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثني إبراهيم بن المنذر الحزامي قال: حدثني الحجاج بن ذي الرقيبة بن عبد الرحمان بن المُضَرَّب بن كعب بن زهير بن أبي سلمى عن أبيه عن جده قال:

خرج كعب وبجير ابنا زهير بن أبي سلمى إلى رسول الله ﷺ حتى بلغا أبرق العزاف، فقال كعب لبُجَيْر: ٱلْحَقِ الرجل، وأنا مقيم هٰهنا، فانظر ما يقول لك، فقدم بُجَيْر على رسول الله ﷺ فسمع منه وأسلم».

ولقد عَجِلَ بُجَيْرٌ - والعجلة هنا خير - فتقبل الإسلام قبل أن يعود إلى أخيه بخبر الرسول، وقبل أن يفاوضه في شأنه، فأغضبه ذلك فقال فيه:

ألا أبلغا عنّي بُجَيراً رسالة
فهل لك فيما قلت، ويحك هل لكا؟
سقاك بها المأمون كأساً رَوِيَّةً
فأنهلك المأمون منها وعلَّكا
ففارقت أسباب الهدى واتبعته
على أي شيءٍ - وَيْبَ غيرك - دلَّكا
على مذهبٍ لم تُلْفِ أماً ولا أباً
عليه ولم تعرف عليه أخاً لكا
فإن أنت لم تفعل فلست بآسف
ولا قائل إما عثرت لعالكا

ولم يسكت بُجير عن هذه الرسالة غير الكريمة، فأجاب عنها بالأبيات التالية:

من مبلغٌ كعباً فهل لك في التي
تلوم عليها باطلاً وهي أحزم؟
إلى اللَّهِ، لا العُزَّى ولا اللاَّت، وحده
فتنجو إذا كان النجاء وتسلم
لَدَى يوم لا ينجو وليس بمفلت
من النار إلا طاهر القلب مسلم
فدين زهير، وهو لا شيء دينه،
ودين أبي سلمى عليّ محرّم

وجاءت تلك الرسالة غير الكريمة إلى بُجَيْر بعد أن تمكن منه الإسلام وخالطت بَشَاشتُه قلبه، فأبى عليه تَدَيُّنُه الصادق أن يكتمها عن رسول الله ﷺ، فلما أطلعه عليه السلام وقعت منه موقعاً وقال لما سمع قوله:

سقاك بها المأمون كأساً رَوِيَّةً

والمأمون لقب كانت قريش تلقب به الرسول قبل البعثة، قال وهو الصادق: نعم، أنا المأمون، وإنه لكذوب، وقال لما سمع قوله:

على مذهب لم تُلف أماً ولا أباً
عليه ولم تعرف عليه أخاً لكا

أجَلْ، لم يُلْفِ أباه ولا أمه على الإسلام.

إن إطلاع بجير رسول الله على شعر كعب ذلك ليدل على أن بجيراً قد أهدر شأن القرابة في سبيل دينه، حتى إذا أهدر رسول الله دَمَ مَنْ كان يؤذيه من شعراء المشركين وفيهم كعب عاوده الإشفاق على أخيه، فبعث إليه ينصحه بما فيه خيره وسلامته في كتاب هذا لفظه من شرح السكَّري على الديوان:

«إن النبي ﷺ يهم بقتل من كانوا يؤذونه من شعراء المشركين، وإن ابن الزبعرَى وهبيرة بن أبي وهب قد هربا، فإن كانت لك في نفسك حاجة فاقدم على رسول الله ﷺ فإنه لا يقتل أحداً جاء تائباً، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجائك من الأرض».

فلما انتهى إليه كتاب أخيه أشفق على نفسه، وكثر الإرجاف فيه بأنه مقتول لا محالة، فالتجأ إلى قبيلته مزينة فلم تجرُؤ أن تجير على رسول الله، فلما ضاقت عليه الأرض بما رحبت وضاقت عليه نفسه رأى أن ينتصح بنصيحة أخيه، وأن يَفِدَ على رسول الله ﷺ تائباً نازعاً، وجرى الأمر في ذلك على أحد الوجوه التي تحكيها الروايات التالية:

قال البعض من الأَخباريّين إنه سأل عن أرق الصحابة فدلّ على أبي بكر، فَسَار به إلى الرسول فأمنه، وقبل توبته، وقيل إن أبا بكر كره أن يُجِيرَ على رسول الله فلم يجبه إلى ما ابتغاه عنده من الوساطة، ومثل ذلك كان موقف عمر منه، فلم يشفع له عند الرسول عليه السلام، وزعمت الشيعة أن

علياً هو الذي كان الوسيط في أمر العفو عنه، وقيل إنه التجأ إلى رجل جُهَنِيّ كان يسكن المدينة وكانت له به معرفة سابقة، فتخفَّى عنده رَيْثَمَا يُدبر أمره في لقاء الرسول على وجه السلامة، وفي أثناء ذلك بدا له أن يغامر في لقاء الرسول بنفسه دون وسيطٍ ثم يعتذر له عساه يقبل منه، فتربص حتى إذا كـان ذَاتَ صباحٍ في مسجده بين أصحابه، وكان مجلسه بينهم مكان المائدة من القوم، حوله حلقة، ثم حولها حلقة ثانية، ثم حول الثانية ثالثة، وهكذا بمقدار من يحضره عليه السلام، اقتحم الحلق، وتخطى الرقاب، حتى إذا كان عنده وبالقرب منه، وكان رسول الله لا يعرفه بشخصه، ناداه فقال: يا رسول الله: إن كعب بن زهير جاءك تائباً مسلماً مستأمناً، فهل أنت قابل منه إن جئتك به، فقال عليه السلام: نعم، فعندئذ قال: هذا مكان العائذ بك، أنـا كعب بن زهير، فبـايعه على الإسلام، وأنشده لاميته التي يقول في مطلعها:

بـانت سعاد فقلبي اليـوم متبـول   متيّم إثـرهَـا لم يفـد مكبـول

وبهذا اللقاء على ما حكيناه، والذي كان بعد منصرف الرسول عليه السلام من الطائف سنة ثمان من الهجرة ثبتت صحبة كعب رضي الله عنه.

وفي هذا الشأن يقول ابن عبد البر في كتاب «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (3: 313) ما نصه:

«قدم كعب بن زهير على النبي ﷺ بعد انصرافه من الطائف، فأنشده قصيدته التي أولها:

بـانت سـعاد فقلبـي اليـوم متبـول

القصيدة بأسرها، وأثنى فيها على المهاجرين، ولم يذكر الأنصار، فكلمته الأنصار فصنع فيهم حينئذ شعراً، ولا أعلمُ في صحبته وروايته غير هذا الخبر».

بانت سعاد :
نصها ومصادرها

وردت بانت سعاد بنصها الكامل مع اختلاف رواياتها بالزيادة والنقص وتبديل الشكل في مصادر عدة نذكر منها ما يأتي بدءاً بالسابق قبل اللاحق، وانطلاقاً من القرن الثالث فإلى القرن الثامن غير متعرضين لمن ساق أطرافاً منها دون كاملها، ثم نورد نصها بما جاء عليه في شرح أبي سعيد السكري على الديوان:

المصادر

1 ـ «**السيرة النبوية**» لجمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري المتوفى سنة 213هـ بالقسم الثاني (ص 503 -513) بتحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بتاريخ 1955 م.

وعدد أبياتها فيها 58 بيتاً.

2 ـ «**شرح ديوان كعب**» لأبي سعيد الحسن بن الحسيْن بن عبيد الله المعروف بالسكري المتوفى سنة 275هـ في نشرة الدار القومية للطباعة والنشر المصورة على طبعة دار الكتب الصادرة سنة 1950م.

وهي الأولى في ترتيب شعر الديوان، وهي تشغل مع شرحها (ص 6-25) وعدة أبياتها فيه 54 بيتاً.

3 ـ «**المستدرك على الصحيحين**» لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن

حمدويه الضبّي النيسابوري المعروف بابن البيع، والملقب بالحاكم المتوفى سنة 405هـ.

وموضعها منه الجزء الثالث (ص 580-582) وعُدة أبياتها فيه 51 بيتاً.

4 ـ «**منتهى الطلب، من أشعار العرب**» لمحمد بن المبارك بن محمد بن ميمون المتوفى بعد سنة 585هـ.

ومنتهى الطلب هذا مخطوط، وهي تقع الأولى فيه.

5 ـ «**جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام**» لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي من أهل القرن الخامس الهجري بتحقيق الأستاذ علي محمد البجاوي، القسم الثاني (ص 788 -800) دار نهضة مصر للطباعة والنشر 1967م.

وعدد أبياتها فيها 57 بيتاً.

6 ـ «**عيون الأثر، في فنون المغازي والشمائل والسير**»، لأبي الفتح فتح الدين محمد بن محمد بن محمد بن أحمد اليعمري المعروف بابن سيد الناس المتوفى سنة 734هـ.

وهي واردة بالجزء الثاني منه (ص 209 -212) وعدة أبياتها فيه 55 بيتاً.

7 ـ «**طبقات الشافعية الكبرى**»؛ لتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي المتوفى سنة 771هـ بتحقيق محمود بن حمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو، طبع عيسى البابي الحلبي سنة 1964م.

وهي واردة مع شرح السبكي عليها بالجزء الأول من الطبقات (ص 234 -243) وعدد أبياتها فيها 53 بيتاً.

8 ـ «**البداية والنهاية في التاريخ**» لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن

عمر بن كثير المتوفى سنة 774هـ وهي واردة بالجزء الرابع منه (ص 370 -372) وعدد أبياتها فيها 54 بيتاً.

النــــص

وهذا نص بانت سعاد الذي شرح عليه السكري نقلاً عن شرحه على الديوان (ص 6 -25):

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... مُتَيَّم إثرها لم يُجْزَ مكبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا ... إلا أغنّ غضيض الطرف مكحول
تجلو عوارض ذي ظَلْمٍ إذا ابتسمت ... كأنه مُنْهلٌ بالراح معلول
شُجّت بذي شَبَمٍ من ماء مَحْنِيَةٍ ... صافٍ بأبطح أضحى وهو مشمول
تجلو الرياح القذى عنه وأفْرطه ... من صوب ساريةٍ بيض يعاليل
يا ويحها خُلَّةً لو أنها صدقت ... ما وعدت أو لوَ آنَّ النصح مقبول
لكنها خُلة قد سِيطَ من دمها ... فَجْعٌ وَوَلْعٌ وإخلاف وتبديل
فما تدوم على حال تكون بها ... كما تلونُ في أثوابها الغول
وما تمسك بالوصل الذي زعمت ... إلا كما تمسك الماءَ الغرابيل
كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً ... وما مواعيدها إلا الأباطيل
أرجو وآمل أن يعجلن في أبدٍ ... وما لهن طوالَ الدهر تعجيل
فلا يغرنك ما منت وما وعدت ... إن الأمانيَّ والأحلام تضليل

* * *

أمست سعاد بأرض لا يبلغها ... إلا العتاق النجيبات المراسِيلُ
ولن يبلغها إلا عُذافرة ... لها على الأيْنِ إرقال وتبغيل
من كل نَضّاخَةِ الذِّفْرَى إذا عرقت ... عُرْضَتُها طامس الأعلام مجهول
ترمي الغيوب بعيني مفرد لهقٍ ... إذا توقدت الحُزَّان والمِيلُ
ضخم مُقلَّدُها فعْمٌ مُقَيَّدُها ... في خلقها عن بنات الفحل تفضيل
حرف أخُوها أبوها من مُهَجَّنة ... وعمها خالها قَوْدَاءُ شِمْليل

يمشي القراد عليها ثم يزلقُه … منها لَبَانٌ وأقرابٌ زهاليل
عَيْرانَةٌ قذفت في اللحم عن عُرُضٍ … مِرفقها عن بَنَاتِ الزَّوْر مفتول
كأن ما فات عينيها ومذبحها … من خَطْمِهَا ومن اللَّحيَيْن برطيل
تمرّ مثل عسيبِ النحْل ذا خصل … في غَارِزٍ لم تخوَّنه الأحاليل
قنواء في حُرَّتَيْهَا للبصير فها … عتق مبين وفي الخدين تسهيل
تخذي على يسرات وهي لاحقة … ذوابل وقْعُهنَّ الأرض تحليل
سمر العجايات يتركن الحصى زِيَماً … لم يَقِهِنَّ رءوسَ الأُكْمِ تنعيل
يوماً يظل به الحرباء مصطخماً … كأن ضاحيه بالنار مَمْلول
كأن أوب ذراعيها وقد عرقت … وقد تلفع بالقور العساقيل
وقال للقوم حاديهم وقد جعلت … وُرْقُ الجنادب يركضن الحصى: قِيلُوا
شَدَّ النهارِ ذِرَاعَا عَيْطلٍ نَصَفٍ … قامت فجاوبَها نكد مثاكيل
نوَّاحة رخوة الضبعين ليس لها … لما نعى بكرها الناعون مَعْقُول
تفري اللَّبَانَ بكفَّيْها ومدرعها … مشقق عن تراقيها رعابيل

* * *

يسعى الوشاة بجنبيها وقولهم: … إنك يا ابن أبي سُلْمى لمقتول
وقال كل خليل كنت آمله: … لا ألفينّكَ إني عنك مشغول
فقلت خلّوا طريقي لا أبا لكم … فكل ما قدر الرحمان مفعول
كل ابن أنثى وإن طالت سلامته … يوماً على آلة حدباء محمول

* * *

أنبئت أن رسول اللَّه أوعدني … والعفو عند رسول اللَّه مأمول
مهلاً هدال الذي أعطاك نافلة الـ … ـقرآن فيها مواعيظ وتفصيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم … أذنب ولو كثرت فيّ الأقاويل
لقد أقوم مقاماً لو يقوم به … أرى وأسمع ما لا يسمع الفيل
لظل يرعد إلا أن يكون له … من الرسول بإذن اللَّه تنويل
حتى وضعت يميني لا أُنازِعُه … في كفّ ذِي نَقِمَاتٍ قوله القِيل

لذاكَ أهْيَبُ عنـدي إذ أكلمـه	وقيـل إنـك مسْبُـورٌ ومسئـول
من ضيغم من ضراء والأسْدِ مخدره	ببطن عَثَّرَ غيـل دونـه غِيـل
يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما	لحم من القوم معفور خراذيل
إذا يُسَاوِر قِرْناً لا يحلّ لـه	أن يترك القرن إلا وهو مفلول
منه تظل حمير الوحش ضَامِزَةً	ولا تُمَشِّي بواديه الأراجيل
ولا يزال بواديه أخو ثقة	مطرح البَزِّ والدِّرْسَانِ مأكول

* * *

إن الرسول لسيف يستضاء به	مُهَنَّد من سيوف اللَّه مسلول
في عصبة من قريش قال قائلهم	ببطن مكة لما أسلموا: زولوا
زالوا فما زال أنكاس ولا كُشُفٌ	عند اللقاء ولا مِيلٌ معازيل
شُمّ العرانين أبطال لَبُوسُهم	من نسج داوود في الْهَيْجَا سرابيل
بيضٌ سوابغ قد شُكّت لها حلق	كأنها حلق القفعاء مجدول
يمشون مشْيَ الجمال الزهر يعصمهم	ضربٌ إذا عرَّد السود التنابيل
لا يفرحون إذا نالت رماحُهم	قوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا
لا يقع الطعن إلا في نحورهم	مَا إنْ لهم عن حياض الموت تهليل

بانت سعاد في أسانيد

أصبحت بانت سعاد ـ بما أحاطها من الظروف والملابسات ـ جزءاً من السيرة، فدعت الحال المعتنين بشأنها إلى توثيق روايتها بالأسانيد، وذلك ما نريد الإلماع إليه بإيراد جملة من أسانيدها فيما يلي:

أسندها أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه الضبي النيسابوري المعروف بابن البيع، والملقب بالحاكم المتوفى سنة 405هـ في «**المستدرك على الصحيحين**» (جـ 3 ص 579-582) فقال:

«أخبرني أبو القاسم عبد الرحمان بن الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الملك الأسديّ بهمذان، حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي، حدثني الحجاج بن ذي الرقيبة بن عبد الرحمان بن كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني عن أبيه عن جده قال: خرج كعب وبجير ابنا زهير حتى أتيا أبرق العزاف. . . ».

ثم سرد قصة إسلام كعب، وأردف ذلك بإيراد القصيدة جميعها بالإسناد أعلاه.

ثم أسندها ثانية بالجزء نفسه، وعلى الصحيفة 582 فقال ما نصه:

حدثنا القاضي، حدثنا إبراهيم بن الحسين، حدثنا إبراهيم بن المنذر، حدثني معن بن عيسى، حدثني محمد بن عبد الرحمان الأوقص، عن ابن جدعان قال: أنشد كعب بن زهير بن أبي سلمى رسول الله ﷺ في المسجد:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيَّم إثرها لم يفد مكبول»

ثم أعاد إسنادها ثالثة بالجزء المذكور وعلى الصفحة 582 بما لفظه:

حدثنا القاضي، حدثنا إبراهيم بن الحسين، حدثنا إبراهيم بن المنذر، حدثني محمد بن فليح عن موسى بن عقبة قال: أنشد كعب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بانت سعاد في مسجده بالمدينة، فلما بلغ قوله:

إن الرسول لسيف يستضاء به   مهند من سيوف اللَّه مسلول
في فتية من قريش قال قائلهم   ببطن مكة لما أسلموا زولوا

أشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بِكُمِّهِ إلى الحلق ليسمعوا منه...».

ثم قال الحاكم بإثر ذلك من نفس الجزء على الصفحة 583 ما عبارته:

هذا حديث له أسانيد قد جمعها إبراهيم بن المنذر الحزامي، فأما حديث محمد بن فليح عن موسى بن عقبة، وحديث الحجاج بن ذي الرقيبة، فإنهما صحيحان، وقد ذكرهما محمد بن إسحاق القرشي في المغازي...».

أتم خبر وأحسنه
عن كعب بن زهير وقصيدته

قال أبو الفرج في أغانية (جـ 17 ص 86 وما بعدها): «أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلبي قالا: حدثنا عمر بن شبة قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي قال: حدثني الحجاج بن ذي الرقيبة بن عبد الرحمان بن مُضَرَّب بن كعب بن زهير بن أبي سلمى عن أبيه عن جدّه قال:

خرج كعب وبجير ابنا زهير إلى رسول الله ﷺ حتى بلغا أبرق العزاف، فقال كعب لبُجَير: الحق الرجل وأنا مقيم هٰهنا فانظر ما يقول لك، فقدم بُجَيْر على رسول الله ﷺ فسمع منه وأسلم، وبلغ ذلك كعباً فقال: . . . ».

قلت: وأنشد أبو الفرج شعراً لكعب يعيب فيه على أخيه إسلامه، ويذكر فيه الرسول بما لا ينبغي، ويبلغ الشعر إلى الرسول فيهدر دمه، فينذره أخوه بُجَيْر بذلك ويبشِّره بأن الرسول يقبل ممن جاءه تائباً نازعاً، لأن الإسلام يُجُبّ ما قبله، وينتصح كعب بقول أخيه ويفيء إلى الحقّ فيسلم وينظم قصيدته بانت سعاد، ويَعْزِمُ الوفود على الرسول معتذراً، وذلك ما يتابع أبو الفرج سرده فيقول:

«ثم أقبل حتى أناخ راحلته بباب مسجد رسول الله ﷺ، وكان مجلسه من أصحابه مكان المائدة من القوم، حلقة ثم حلقة، وهو وسطهم، فيُقبِل على هؤلاء يحدثهم، ثم على هؤلاء، فأقبل كعب حتى دخل المسجد، فتخطى حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، الأمان. . . ثم أنشده يعني كعباً:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول

فلما بلغ إلى قوله:

إن الرسول لسيف يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول
في فتية من قريش قال قائلهم ... ببطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال أنكاس ولا كُشُفٌ ... عند اللقاء ولا ميل معازيل

أشار رسول الله ﷺ إلى الحلق أن يسمعوا شعر كعب بن زهير.

قال الحزامي: قال علي بن المديني: لم أسمع قط في خبر كعب بن زهير حديثاً قط أتمَّ ولا أحسن من هذا، ولا أبالي ألا أسمع من خبره غير هذا. . . ».

موضع إنشاد القصيدة

وفي الأغاني ضمن الخبر المسوق بالسند السابق ما نصه:

«قال عمر بن شبّة: حدثني الحزامي قال: حدثني محمد بن فليح عن موسى بن عقبة، وأخبرني بمثل ذلك أحمد بن الجعد قال: حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي قال: حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة قال: أنشدها (يعني بانت سعاد) رسول الله ﷺ في مسجده...».

رواية أخرى
في موضع الإنشاد

وفي الأغاني أيضاً من نفس الجزء المذكور (ص 91) ما لفظه:

«قال إبراهيم بن المنذر: حدثني معن بن عيسى قال: حدثني الأوقص محمد بن عبد الرحمان المخزومي قال: حدثني علي بن زيد أن كعب بن زهير أنشد رسول الله ﷺ هذه القصيدة في المسجد الحرام، لا في مسجد المدينة».

سند ابن ميمون

هو محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون البغدادي من أهل القرن السادس الهجري.

أورده في طالعة مجموعه الذي سماه: «**منتهى الطلب، من أشعار العرب**» والذي صدّره بقصيدة «**بانت سعاد**»، وقال بسندها ما نصه:

«قرأت هذه القصيدة في سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة على الشيخ أحمد بن السمين، ورواها لي عن أبي زكرياء يحيى بن علي الخطيب التبريزي، عن أبي محمد الحسن بن عليّ الجوهري، عن أبي عمرو محمد بن العباس الجزار، عن أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، عن

أبيه، عن عبد الله بن عمرو، عن إبراهيم بن المنذر الحزامي، عن الحجاج بن ذي الرقيبة بن عبد الرحمن بن كعب بن زهير المُزَني عن أبيه عن جده كعب».

بسند التاج السبكي

هو تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي المتوفى سنة 771هـ.

أورده في الطبقات الكبرى (جـ 229 -230) فقال:

«أخبرنا محمد بن إسماعيل الحمويّ قراءة عليه وأنا أسمع، أخبرنا أبو محمد عبد الواسع بن عبد الكافي الأبهريّ، أخبرنا أبو الفتح محمد بن أحمد بن بختيار بن علي المندائي وأبو حفص محمد بن عمر بن محمد بن معمر بن طبرزد قال: أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن أحمد بن عمر الحريري سماعاً، أخبرنا أبو الحسن محمد بن عبد الواحد بن جعفر المعروف بابن زوج الحرّة، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن شاذان، حدثنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي، أخبرنا أحمد بن يحيى عن محمد بن سلام قال: أخبرنا محمد بن سليمان عن يحيى سعيد الأنصاري عن سعيد بن المسيّب قال:

«قدم كعب بن زهير متنكراً حين بلغه أن رسول الله ﷺ أوعده، فأتى أبا بكر الصديق رضي الله عنه، فلما صلى الصبح أتاه به وهو متلثم بعمامة فقال: يا رسول الله، رجل يبايعك على الإسلام، فبسط يده، فحسر وجهه فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، هذا مكان العائذ بك، أنا كعب بن زهير، فتجهمته الأنصار وأغلظت له لما كان من ذِكره النبي ﷺ، ولانت له قريش وأحبوا إسلامه وإيمانه، فآمنه النبيّ ﷺ، فأنشده مدحته التي يقول فيها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول　　متيم إثرها لم يفد مكبول»

بسند ابن خير
(من الأندلس)

هو أبو بكر محمد بن خير بن عمر الأموي الإشبيلي المتوفَّى سنة 575هـ.

أورده في فهرسة ما رواه عن شيوخه (ص400 -401) فقال:

«قصيدة كعب بن زهير التي مدح بها رسول الله ﷺ، حدثني بها القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله قال: أنبأنا أبو زكرياء يحيى بن علي الخطيب الشيباني التبريزي وأبو الحسن علي بن سعيد العبدري الإمام الشافعي، وأبو الفضائل محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن صوف البغداديُّونَ قالوا: أنبأنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهرِّي قال: أنبأنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيويه قال: أنبأنا أبو بكر عن أبيه عن عبد الله بن عمرو عن إبراهيم بن المنذر عن الحجاج بن ذي الرقيبة بن عبد الرحمن بن كعب بن زهير بن أبي سلمى عن أبيه عن جدّه، وذكر الحديث والشعر، قال ابن العربي: كانت قراءتي لها على الخطيب التبريزي بشرحها له مستوفى».

بسند الواداياشي
(من تونس)

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جابر بن محمد القيسي الواداياشي المتوفى بتونس سنة 749هـ.

أورده في برنامجه (ص 224) فقال:

«بانت سعاد، سمعتها على القاضي أبي العباس بن الغماز بسماعه لها على أبي الربيع بن سالم قال: قرأتها على الفقيه أبي القاسم بن حبيش وغيره برواية ابن حبيش لها عن الحسن بن مغيث عن أبي مروان بن سراج،

عن أبي القاسم بن الإفليلي، عن أبي عيسى يحيى بن عبد الله بن أبي عيسى، عن عم أبيه عبيد الله بن يحيى، عن محمد بن عبد الرحيم البرقي، عن ابن هشام عن البكائيّ عن ابن إسحاق بسنده في سيرته».

سند رُؤْيَوِيّ

ثم نطبع على الأسانيد السابقة قَبْلَهُ بسند رؤيوي يوثق بانت سعاد برؤيا صالحة رآها بعض صالحي العلماء، وحكى خبرها المقري في نفح الطيب (جـ 2 ص 685) في نشرة إحسان عباس رواية عن أبي جعفر الإلبيري قال:

حدثني بعض شيوخنا بالإسكندرية بإسناد أن بعض العلماء كان لا يستفتح مجلسه إلا بقصيدة «**بانت سعاد**» لكعب، فقيل له في ذلك فقال: رأيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، قصيدة كعب أنشدها بين يديك؟ فقال: نعم، وأنا أحبها وأحبّ من يحبها، قال: فعاهدت الله أني لا أخلو من قراءتها كل يوم».

بـانت سـعاد
فـي مجـال الاختيـار

من أصناف التأليف الأدبي في العربية ما عرف في اصطلاح الأدباء باسم الاختيار، وذلك أن يعمد راوية ناقد إلى انتقاء مجموع من الشعر يكون تارات قصائد كاملة، ويكون تارات أُخَر مقطعات أو أبيات مقتطفة من قصائد يقع عليها اختياره دون سائرها، معتّداً في انتقائه بجودة الشعر وبراعة الصنعة فيه بالدرجة الأولى كما عليه الحال في الاختيار المعروف باسم «**المعلقات**» والآخر المنسوب «**بالمفضليات**» والثالث المنسوب «**بالأصمعيّات**» مما يتعلق بالاختيار الذي يضم القصائد الكاملة، ومن ذلك فيما يتعلق بالمقطعات والمقتطفات **الحماسة التمّاميّة**، **والحماسة البحترية**، **والثالثة الأخرى البصرية**، **وحماسة الخالديَّيْن** وغيرها مما يترجم باسم الحماسة.

ولقد كانت «**بانت سعاد**» جديرة بأن تحظى بمكانتها بين المختارات لبلاغتها العالية في الأشعار عامة، ولكونها من بليغ الشعر في المديح النبويّ بخاصة، فاختارها أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي في مجموعته السباعيّة التي سماها «**جمهرة أشعار العرب**» وضمنها المعلقات السبع، فالمجمهرات السبع، فالمنتقيَات السبع، فالمراثي السبع، وبعدها السبع المشوبات، ثم السبع الملحمات، وجعل موضعها في المشوبات، ورتبها ثانية فيها.

واختارها من بعدها محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون البغداديّ في مجموعه الكبير الذي سماه: «**منتهى الطلب، من أشعار العرب**»، والذي أوعى فيه ألف قصيدة لمائتين وأربعة وستين شاعراً من الجاهليّين والمخضرمين والإسلاميّين، وجعلها فاتحةً في اختياره تيمناً بها، واعتداداً منه بقيمتها الشعرية العالية.

سَمِيَّات بانت سعاد

هناك قصائد افتتحها أصحابها بعبارة «بانت سعاد» أورد السيوطي في شرحه على شواهد المغني (جـ 2 ص 529 -532) مطالع عشر منها فقال:

«قال زهير والد كعب:

بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا   وليت وصلاً لنا من حبلها رجعا

وقال ربيعة بن مقروم الضبّي:

بانت سعاد فأمسى القلب مَعْمُودَا   وأخلفتك ابنة الحرّ المواعيدَا

وقال قعنب بن ضمرة:

بانت سعاد وأمسى دونها عَدَنُ   وغلقت عندها من قلبك الرُّهُنُ

وقال النابغة الذبياني:

بانت سعاد وأمسى حبلها انجذما   واحتلت الشرع فالأجزاع من إِضَمَا

. . . .

وتمادى يسردها حتى أتمها عشراً كاملة.

وتولع أبو عمرو بندار بن عبد الحميد الأصفهاني المعروف بابن لرّة بحفظ القصائد المبدوءة بهذه الفاتحة وأمعن في ذلك إمعاناً تُنْبِىءُ به النقول الآتية:

من ذلك ما ذكره الزبيدي في كتابه: «طبقات النحويين واللغويين» (ص 228) رواية عن أبي علي إسماعيل بن القاسم البغدادي صاحب الأمالي فقال:

«قال أبو علي: حدثني أبو بكر محمد بن القاسم عن أبيه القاسم قال: كان بندار يحفظ مائة قصيدة، أول كل قصيدة «بانت سعاد».

قلت: هذه المائة صارت إلى سبعمائة عدداً عند ياقوت في «إرشاد الأريب» (7: 128- 129) إذ قال من ترجمة بندار ما نصّه:

«بندار بن عبد الحميد الكرخي الأصفهاني، ذكره محمد بن إسحاق في الفهرست فقال: أخذ عن أبي عبيد القاسم بن سلام، وأخذ عنه ابن كيسان، وقال ابن الأنباري عن أبيه القاسم: كان بندار يحفظ سبعمائة قصيدة، أول كل قصيدة «بانت سعاد».

وفي إنباه الرواة للقفطي (1: 256) من ترجمة بندار ما لفظه:

«بندار الأصفهاني، لغوي، راوية للأخبار والأشعار، مُكْثِر حافظ لآثار العرب ونوادرها، قال محمد بن القاسم بن بشار الأنباري: أخبرني أبي القاسم بن بشار أبو محمد قال: كان بندار يحفظ سبعمائة قصيدة، أول كل قصيدة «بانت سعاد».

وازدادت السبعمائة مائتين عند الصلاح الصفدي في الوافي بالوفيات (1: 291) وعند الجلال السيوطيّ في بغية الوعاة (ص 208) وهما يترجمان بنداراً هذا، ومثلهما في ذلك الزرّقاني في شرحه على «المواهب اللدنية» للقسطلاني وما أرى هذه الزيادة إلا من التصحيف.

ومما يتعلق بهذا الشأن ما حكاه حمزة الأصفهاني في كتابه: تاريخ أصفهان ونقله عنه ياقوت في «إرشاد الأريب» (7: 129- 130) فقال:

«حدث أبو بكر ابن الأنباري في أماليه ببغداد قال: سمعت أبا العباس الأمويّ يقول: كان بندار بن لرّة الأصفهاني أحفظ أهل زمانه للشعر

وأعلمهم به، أنشدني من حفظه ثمانين قصيدة، أول كل قصيدة بانت سعاد».

وتهمّم أبو محمد عبد الله بن أحمد البغدادي المعروف بابن الخشاب بالتفتيش عن هذه البانت سعادات وإحصائها فلم ينته في ذلك إلى ما فوق الستين، ذلك ما حكاه ياقوت في «الإرشاد» (7 :129) فقالَ:

«وبلغني عن الشيخ الإمام أبي محمد الخشاب أنه قال: أمعنت التفتيش والتنقير فلم أقع على أكثر من ستين قصيدة أولها بانت سعاد».

والظن أن عدد المائة هو القريب مما كان! ويسدّد ذلك الثمانون التي سمعها الأمويّ إنشاداً من بندار، والستون التي انتهى إليها ابن الخشاب، وأما ما وراء ذلك من المآت، فلعلّه من التزيُّد والمبالغات.

بانت سعاد
في القصائد الملقبة

أخذت بانت سعاد لقبها في القصائد الملقبة، وعنيت بالقصيدة الملقبة أن يلقى عليها لقب مادح أو ذام، أو يجعل لها كنية تذكر بها، أو أن تنسب لاسم قائلها أو لاسم من قيلت فيه أو لصاحب اختيار انتقاها في اختياره، أو لحرف رويها أو أن تنعت بصفة تتّفق وغرضها وما إلى ذلك من أشكال الوصف والتعريف، وأن تظفر قصيدة بلقب تذكر به فذلك من البخت، وهو أيضاً دليل الشهرة والصيت في عالم الأشعار.

من ذلك السبع الطوال التي اختارها حمّاد الراوية من أشعار الجاهليين وألقى عليها لقب المعلقات، كما تلقب أيضاً بالسموط.

ومنه المجمهرات، والمنتقيَات، والمذهبات، والمَشُوبَات، والملحمات، كل لقب منها تقع على سبع قصائد جياد مما اختاره أبو زيد القرشيّ في مجموعته التي سماها جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام.

ومن المنسوب الحوليات، وهي قصائد لزهير بن أبي سلمى كان يبطىء في عملها تثقيفاً وتنقيحاً حتى يَحول عليه الحول فيها.

ومن المنسوب لصاحب الاختيار المفضليّات والأصمعيات وينسلك فيه الحماسيات، وهي المقطعات والقصائد الواردة في اختيار أبي تمام المعروف بالحماسة.

ومن المنسوب لحرف الرَّوِيّ لامية العرب ولامية العجم، وسينية البحتري، وعينيّة ابن زريق، والنونية الزيدونية.

ونظم الصاحب بن عبّاد قصيدة بَائية من الطويل مدح بها عضد الدولة، وكرر في أشطارها صدوراً وأعْجَازاً كلمة (لكنّ) فنسبوها لذلك بالقصيدة اللاكنيّة.

ونظم ابن الرومي قصيدة في مدح الوزير أبي الصقر افتتحها بغزَل ذكر فيه أسماء طائفة من الفواكه والرياحين فمن أجل ذلك نَبَزَها بعض معاصريه بلقب دار البطيخ تعبثاً بها وسخرية منها، واللقب هذا في الأصل اسم لسوق بمدينة سر من رأى تباع فيه الفواكه والرياحين بعامة، وإن كان منسوباً إلى البطيخ بخاصة.

ثم نتدارك في سرد بعض الألقاب الواقعة على بعض القصائد لنصل إلى لقب القصيدة الكعبية عن قريب فنقول:

من المُذَوَّيَاتِ ذات الأكارع لقصيدة فرزدقيّة، وذات الأمثال، وهي أرجوزة مزدوجة لأبي العتاهية أوعى فيها زهاء ألف من الحكم والأمثال، وذات الهدي لابن الشخير ناقض بها قصيدة لابن بسّام.

وجاء عنهم في التكنية بالأم «أم الرجز»، وهي أرجوزة لاميّة لأبي النجم العجلي، كناها بذلك رؤبة بن الحجاج الراجز المشهور، و«أم القرى»، وهي كنية لهمزية البوصيري في المديح النبوي.

ومن المُعَنْوَنِ بالغرض الشعري «عنوان الحكم» لِنُونيّة أبي الفتح البُسْتي في الوعظ والتذكير والنصيحة، و«مقراض الأعراض»، وهو قصيدة هجوية لابن عنين.

ومن الألقاب «الدامغة» لجرير، و«المُؤْنِسة» للمجنون، و«البسامة» لابن عبدون في رثاء الدولة الأفطسية، و«المنفرجة» لابن النحوي، وأخيراً

فإن هناك قصيدة غزلية مُصَنَّعة تصنيعاً ادعاها غير واحد من الشعراء فلم تثبت لأي منهم، فسميت لذلك «باليتيمة».

فـأما القصيـدة الكعبية فكـانت في مجال الاختيـار ضمن السبع «المَشُوبَات»، واحتلت الرتبة الثانية فيها، وأخذت من الألقاب «قصيدة البردة» أو «البردة» دون إضافة لِمَا أَنَّ الرسول عليه السلام ألقى على صاحبها عند إنشادها بردة كانت عليه، ولكن وقع من بعد ذلك أن غلبتها على ذلك اللَّقَبِ مِيميّةُ البوصيري الشهيرة الذكر في المديـح النبويّ، واستبدت به دونها، وبقي لها اسم «بانت سعاداً» أخذاً من العبارة الأولى في مطلعها فصارت لا تذكر إلا به.

شــروح بـانـت ســعاد

هنالك العديد من القصائد التي نالت الحظوة عند العلماء والأدباء، فأفردوها من بين أشعار أصحابها بالشروح الخاصة، والتعاليق المستقلة، من ذلك لامية العرب للشنفرى، وقرينتها لامية العجم للطغرائي، والقصيدة الزينبية، والنونية البُسْتِيّة، وعينيّة ابن زريق، ونونية ابن زيدون، وبسَّامة ابن عبدون، ومنه المقصورة الدريـديّة، والمقصـورة الحازميـة، والمقصورة المَكُودية، والمنفرجة لابن النحوي، ولامية ابن الورديّ، ومنه من الشعر المغربي قافيّة ابن الوناق التي وضع عليها من الشروح زهاءُ العشرة.

وكانت قصائد المديح النبويّ أكثر حظوة في ذلك من سواها كما عليه الحال في بردة البوصيريّ وهمزيته، ومن وراء ذلك القصيدة الكعبيّة «بانت سعاد» التي نقصد الآن التعريف بطائفة من شروحها في المسرد التالي:

(1)

الشــرح النبــويّ

كان الرسول ﷺ أول من ابتدأها بالشرح، فقد روي عنه عليه السلام أنه لما سمع هذا البيت:

قَنْـوَاءُ في حُـرَّتَيْهـا للبصيـر بهــا عِتْقٌ مُبِينٌ وفي الخـدَّين تسهيـل

قال لأصحابه الحاضرين: ما حرتاها؟ فقال بعضهم: هما عيناها، وسكت بعضهم عن الجواب، فقال ﷺ: «حُرَّتاها أذناها».

(2)
شـــرح الأحـــول

هو أبو العباس محمد بن الحسن بن دينار المعروف بالأحول المتوفى سنة 259هـ وهو يقع ضمن شرحه على سائر الديوان.

وقد كان العلامة عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأدب المتوفّى سنة 1093هـ يملك نسخة من هذا الشرح بخطّ الأحول مؤلفه، وعن ذلك يخبر في خزانته فيقول بالنص:

«والذي يحضرني من شروحها الآن (يعني قصيدة بانت سعاد) شرح أبي العباس الأحول مع شرح جميع ديوانه، وهوعندي بخطّه».

وقد كان بحوزة المرحوم العلامة البحّاثة عبد العزيز المَيْمنيّ مخطوط من شرح الأحول هذا انتسخه من مكتبة أسعد أفندي باستامبول وقال يصفه:

«هو بقطع الثمن في 121 ورقة، والمسطرة 11 سطراً، نسخ سنة 553هـ، ولكن لا يهولنك عتاقة خطّه، فإن جلّه مُصَحَّف ومُحَرَّف للغاية، على أنه عاطل من النقط والشكل إلا فيما لا يهم، رديء بالمرة، مما يدل على قلة آكتراث الناسخ بعمله، أو جهله باللغة العربية».

(3)
شـــرح السكّـــري

هو أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله العَتَكِيّ المعروف بالسكرِيّ والمتوفى سنة 275هـ.

والشرح هذا يقع ضمن شرح الديوان بتمامه، وبشرح قصيدة بانت سعاد كانت البداية فيه.

والشرح هذا بكامله يوجد بمكتبة الجمعيّة الشرقيّة الألمانيـة في مخطوطة تمت كتابتها سنة 533هـ ومعـه سابقاً عليه شرح ثعلب على ديوان

زهير والد كعب، وبنفس خطّ الناسخ، وبهذه الشبهة نسب شرح ديوان كعب لثعلب بدلاً من صاحبه السكرِيّ.

وعلى مخطوطة مكتبة الجمعية الشرقية الألمانية هذه كانت طبعة دار الكتب المصرية لشرح السكرِيّ سنة 1950 م.

(4)

شـــرح ثعلـــب

هو أبو العباس أحمد بن يحيـى الشيباني الملقب بثعلب المتوفى سنة 291هـ.

هو شرح السكري المتقدم الذكر قبله، نسب لثعلب بالشبهة المشار إليها سابقاً.

(5)

شـــرح ابـن دريـــد

هو محمد بن الحسن بن دريد الأزدي المتوفى سنة 321هـ.

يوجد مخطوطاً، أخبر بذلك بروكلمان في تاريخ الأدب العربيّ (جـ 1 ص 158) في الترجمة العربية.

(6)

شـــرح نفطـويـــه

هو أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الملقب بنفطويه المتوفى سنة 323هـ.

نسبه إليه البغدادي في مقدمة الخزانة.

(7)
شــرح ابــن الأنبــاري

هو أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري المتوفّى سنة 328هـ ذكره البغدادي في الخزانة، وقال بشأنه ما نصه:

«وهو صغير قليل الجدوى».

منه مخطوط بالظاهرية برقم: (103 سيرة).

(8)
شـرح الخطيـب التبـريـزي

هو أبو زكرياء يحيـى بن علي بن محمد الشيباني المعروف بالخطيب التبريزي المتوفى سنة 502هـ.

يوجد مخطوطاً بدار الكتب المصرية وبالظاهرية، وبفيص الله، ضمن مجموع، وبالرباط، وبرلين، وليدن، والفاتيكان.

نشره كرانكوف فريتس بمجلة الجمعية الشرقية الألمانية سنة 1911م ومعه مقدمة بالألمانية وتعليقات نقدية.

(9)
شــرح الكمـال لابـن الأنبـاري

هو أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الانباري المتوفى سنة 577هـ.

حققه الدكتور محمود حسن زيني، وطبع تحقيقه بجدة سنة 1982م.

وأُحيل على التعليق الذي كتبه عليه الدكتور السيد إبراهيم محمد في كتابه «قصيدة بانت سعاد وأثرها في التراث العربي» (ص 85 -90).

(10)

شـــرح السهيلـــي

هو أبو القاسم عبد الرحمان بن عبد الله بن أحمد الخَثْعَميّ السهيلي المتوفى سنة 581هـ.

أودعه الجزء الرابع (ص171-172) من كتابه «الروض الأُنُف» في تفسير سيرة ابن هشام.

وفات بروكلمان أن يذكره في تاريخ الأدب العربي، ولـم يشر إليه الدكتور السيد إبراهيم محمد في كتابه: «قصيدة بانت سعاد وأثرها في التراث العربي».

(11)

شـرح أبي موسـى الجـزولـي

هو أبو موسى عيسى بن عبد العزيز بن يَلَلْبَخْتَ الجزولي المُرّاكشي المتوفى سنة 607هـ.

يوجد مخطوطاً بالجزائر، أخبر بذلك بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي (جـ 1 ص 158) من الترجمة العربية.

وكان المستشرق الفرنسي رُوني باسيه قد تَهَمَّمَ بقصيدة كعب فنشرها بباريز سنة 1910م نصاً وترجمةً فرنسية مع ترجمة مبسوطة لناظمها، وأصحب ذلك بشرحين عليهما، هُمَا شرح ثعلب وشرح الجزولي هذا.

(12)

شـرح عبد اللطيـف البغـدادي

هو أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد البغدادي الملقب بالموفق، والمعروف بابن اللّبّاد وبابن نقطة المتوفى سنة 629 هـ.

نسبه اليد ابن أبي أصيبعة في «عيون الأنباء»، والصفدي في «الوافي بالوفيات»، وابن شاكر في «فوات الوفيات» وابن العماد في «الشذرات».

حققه الأستاذ هلال ناجي، وطبع تحقيقه بالكويت سنة 1981 م.

وانظر ما علقه عليه الدكتور السيد إبراهيم محمد في كتابه: «قصيدة بانت سعاد وأثرها في التراث العربي» (ص 95 -99).

(13)

شـــرح ابـن هشـــام

هو جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن أحمد المصري النحوي الشهير بابن هشام المتوفَّى سنة 761هـ.

يوجد مخطوطاً بالقاهـرة ومشهد، وفـاس، والجزائـر، وأيا صـوفيا وبرلين، وجُوتَا، وباريس، وبالمتحف البريطاني.

نشره جويدي بليبزج سنة 1871م وصدرت له بالشرق عدة طبعات أُخْراها طبعة محققة أخرجها الدكتور محمود حسن أبو ناجي سنة 1984 م.

وأُحيل على تعليق مسهب ومفيد كتبه على هذا الشرح الدكتور السيد إبراهيم محمد في كتابه: قصيدة بانت سعاد وأثرها في التراث العربي (ص 99 -126).

(14)

شـــرح السبكـــي

هو تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكيّ المتوفى سنة 771هـ.

أودعه في كتابه: «طبقات الشافعية الكبرى» (جـ 1 ص 230 -243) بتحقيق محمود محمد الطناجي وعبد الفتاح محمد الحلوفي طبعة عيسى البابي الحلبي سنة 1964م.

ولم يذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ولا الدكتور السيد إبراهيم محمد في كتابه: «قصيدة بانت سعاد وأثرها في التراث العربي».

(15)

مختصر شرح ابن هشام على بانت سعاد

لجمال الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم اللخميّ الأميوطي المتوفى سنة 790هـ.

يوجد مخطوطاً بالمكتبة الظاهرية بدمشق. لم يشر إليه بروكلمان في تاريخ الأدب العربي.

(16)

شرح ابن الحداد البجلي

هو أحمد بن محمد بن الحداد البجلي البغدادي، من أهل القرن الثامن الهجريّ.

ذكره عبد القادر بن عمر البغدادي في «خزانة الأدب» (جـ 9 ص 144 -145) وأورد منه اقتباسات بالجزء المذكور يقف القارىء عليها بالصفحات التالية: 147 -148 -152.

وَوَازَنَ البغداديّ بينه وبين شرح ابن هشام الأنصاريّ فقال من خزانته (9 -146) ما نصه:

«وقد اعتنى بشرحها أجلّة العلماء، والذي يخصرني من شروحها الآن شرح أبي العباس الأحول، مع شرح جميع ديوانه، وهو عندي بخطه، وشرح أبي عبد الله نفطويه النحوي، وشرح أبي بكر بن الأنباري، وهو صغير قليل الجودة، وشرح البغدادي المذكور، وشرح ابن هشام الأنصاري، وهما أجل الشروح، ولكن شرح البغدادي أكثر استنباطاً لمعاني الشعر،

وأدق تفتيشاً للمزايا والنكت، وشرح ابن هشام أوعى منه للمسائل النحوية وتفسير الألفاظ اللغوّية، وكل منهما في حجم الآخر، وعهد تأليفهما متقارب».

(17)

شـرح نقـره كـار

هو السيد عبد الله المعروف بنقره كار المتوفى سنة 800هـ.

ذكره حاجي خليفة بحرف القاف من كشف الظنون في رسم قصيدة.

(18)

شـرح الجمـال البساطـي

هو جمال الدين أبو الحسن يوسف بن خالد بن نعيم الطائي البساطي المتوفّى سنة 829هـ.

(19)

جـزء

في شـرح قول كعب:

حرف أخوها أبوها من مُهجَّنـةٍ
وعمها خالها قوداء شِمْلِيـل

هو أيضاً للجمال البساطي السابق الذكر قَبْلَه.

(20)

شـرح ابـن حجـة الحمـويّ

هو تقيّ الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحَمَوي الأزراري المعروف بابن حجة المتوفى سنة 837هـ.

يوجد مخطوطاً في برلين، أخبر بذلك بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (جـ 1 ص 158) من الترجمة العربية.

(21)

مصـــدق الفضـــل

لشهاب الدين أحمد بن عمر الهندي الدولتابادي الملقب بملك العلماء المتوفى سنة 849هـ.

طبع بحيدرآباد سنة 1323هـ.

(22)

شـــرح الجـلال المحلّـي

هو جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد المَحَلّي المتوفى سنة 864هـ.

يوجد مخطوطاً في ليبزج، أخبر بذلك بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي (جـ 1 ص 158) من الترجمة العربية.

(23)

شـــرح المولـــى خيـر الدين

ذكره حاجي خليفة في حرف القاف من كشف الظنون تحت اسم قصيدة فقال بشأنه ما نصه:

«ومن الشروح على تلك القصيدة شرح المولى خير الدين المتوفى سنة 883 معلم السلطان محمد خان الفاتح، وهو شرح مختصر موجز لطيف».

(24)

شـــرح ابـن المبـرد

هو جمال الدين يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي الصالحيّ المتوفى سنة 909هـ.

يوجد مخطوطاً بالظاهريّة.

(25)

كنـه المُـراد

مـن شـرح بـانت سـعاد

لجلال الدين أبي الفضل عبد الرحمان بن الكمال أبي بكر بن محمد السيوطي المتوفى سنة 911هـ.

منه مخطوطة بدار الكتب المصـريـة برقم: (6149 أدب) تمت كتابتها سنة 1071هـ وأخرى بمكتبة جامعة كمبردج بخط نسخي جميل فرغ منها كاتبها عام 1114هـ.

ويوجد مخطوطاً بالظاهرية وتونس، وبرلين، والمتحف البـريطاني وجهاتٍ أُخْرَى.

وأُحِيلُ على الدكتور السيد إبراهيمم محمد الذي وفى القول تَوفيَـةً على هذا الشرح في كتابه: «قصيدة بانت سعاد وأثرها في التراث العربي» (ص 131 -144).

(26)

شـرح ابـن حجـر الهيثمـي

هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الأنصاري المتوفى سنة 974هـ.

يوجد مخطوطاً بالجزائر وليبزج وميونيخ، أخبر بذلك بروكلمان في كتابه «تاريخ الأدب العربي» (جـ 1 ص 159) من الترجمة العربية.

(27)

الاقتصاد، في شـرح بانت سـعاد

لنور الدين أبي المكارم وأبي التقي صالـح بـن صديق بن علي الأنصاري الخزرجي اليمني النماري المتوفى سنة 975هـ.

يوجد مخطوطاً بمكتبة الأحقاف للمخطوطات بتريم، وبالإسكوريال، وبدار الكتب المصرية ضمن المكتبة التيمورية برقم: (771 شعر).

وانظر وصف الشرح عند الدكتور السيد إبراهيم محمد في كتابه: «قصيدة بانت سعاد، وأثرها في التراث العربي» (ص 154 -155).

(28)

شــرح الـزمـزمـي

هو عبد العزيز بن علي بن عبد العزيز الشيرازي المكـيّ المعروف بالزمزميّ المتوفى سنة 976هـ.

يوجد مخطوطاً بمكتبة جامعة برنستون، أخبر بذلك بروكلمـان في كتابه: «تاريخ الأدب العربي» (جـ 1 ص 159) من الترجمة العربية.

(29)

شـرح الكفويّ محمــود

هو محمود بن سليمان الرومي الكفويّ المتوفى سنة 990هـ نسبه إليه الزركلي في أعلامه.

(30)

شـــرح ابن الشيبـة؟

هو الشيخ عبد القادر بن إبراهيم بن الشيبة؟ المحلّي ذكره حاجي خليفة بحرف القاف من كشف الظنون في رسم قصيدة.

(31)

شـــرح باسم النكت الجيــاد

ذكره حاجي خليفة بحرف القاف من كشف الظنون في رسم قصيدة، وقال بشأنه ما نصه:

«ومن شـروح بانت سعـاد النكت الجيـاد للصديـق بن محمد بن الصديق السراج الحنفي، أوله: الحمدلله الذي شرح صدور أهل الأدب بتوفيقه».

(32)

فتـح بـاب الإسـعاد
فـي شـرح بانـت سـعاد

لملا علي بن سلطان محمد الهروي القاري المتوفى سنة 1014هـ.

من مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم: (229 أدب) في 78 ورقة تمت كتابتها عـام 1243هـ.

ويوجد أيضاً مخطوطاً بالسليمانية وسليم آغا ومشهد وبرلين وميونيخ.

ثم انظر تقويمه عند الدكتور السيد إبراهيم محمد في كتابه: «قصيدة بانت سعاد وأثرها في التراث العربي» (ص 178 -181).

(33)

الإســـــعاد
فــي تحقيـق بانـت سـعاد

للشيخ محمد بن أحمد بن بدير الطوسيّ، وهو شرح صوفيّ على القصيدة الكعبية بيتاً بيتاً من أولها إلى آخرها، ومُنْتَظَرٌ ممن لم يقف على هذا الشرح أن يتساءل: كيف استقام له ذلك التأويل الصوفي في كل القصيدة على التمام والكمال، وتلخيص الجواب في ذلك مأخوذاً مِمّا فصّله الدكتور السيد إبراهيم محمد في كتابه: «قصيدة بانت سعاد، وأثرها في التراث العربي» (ص 167 -178) أنه جعل اسم سعاد رمزاً للسعادة التي يتطلبها العارف، وجعل الناقة بأوصافها تَوْرِيَةً عن الهمة التي لا تفتُر ولا تَسْتَحْسِرُ في الطلب، ثم سار على ذلك في التفاصيل، ملتطّفاً في التأويل

والرمز، وفي إسقاط المعاني الصوفية على القصيدة بكثير من الذوق والإحسان.

(34)

شرح العربي الفاسي

هو محمد العربي بن يوسف الفاسي المتوفى سنة 1052هـ.

ذكره محمد بن الطيب القادري في نشر المثاني (2 :11 -12) فقال ما نصه:

«وشرع في عدة كتب مات قبل إتمامها، منها كتاب مرآة المحاسن، ومنها شرح على قصيدة كعب بن زهير...».

(35)

شرح با عنتر

هو أحمد بن عبد الله بن حسن المعروف ببا عنتر السيوويّ الحضرمي المتوفى سنة 1091هـ.

نسبه إليه خير الدين الزركلي في أعلامه.

(36)

حاشية عبد القادر البغدادي
على شرح ابن هشام لبانت سعاد

هو الشيخ العلامة عبد القادر بن عمر بن بايزيد البغدادي المتوفَّى سنة 1093هـ.

ألفها برسم الوزير العثماني أحمد الكوبريلي صاحب لمكتبة الشهيرة والمتوفى سنة 1087هـ.

منها مخطوطة بمكتبة عارف حكمت بالمدينة تمت كتابتها سنة 1084هـ وأخرى برامبور تم انتساخها سنة 1112هـ وثالثة بالمكتبة التيمورية برقم: (746 شعر): في نحو 1300صفحة، كان الفراغ من كتابتها عام 1333هـ.

وعن هذه الحاشية يقول الأستاذ عبد السلام محمد هارون من مقدمة الخزانة:

هي من أنفس ما كتب البغدادي، شرح فيها شواهد هذه الشرح، وما فيه من أمثال وأمثلة أو نحو ذلك، وشواهده زهاء أربعمائة بيت، تولاها بالشرح والتحقيق، والنسبة وترجمة قائليها من الشعراء، بل تجاوز ذلك إلى إضافة تراجم من أجرى ذكرهم ابن هشام من علماء وفقهاء وقراء ونحاة وغيرهم...».

(37)

مختصـــر
فـي شـرح بانت سـعاد

لزين الدين عبد العزيز بن محمد بن خليل من أهل القرن الحادي عشر الهجري.

يوجد مخطوطاً بدار الكتب المصرية، وبالمكتب الهندي وباريس.

عده بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (158:1) من الترجمة العربية اختصاراً لشرح الخطيب التبريزي الذي سبق التعريف به، ولكن مخطوطة الدار تنبىء نهايتها أنه اختصار من شرح ابن هشام الأنصاري الذي سبق القول عليه، وأحيل في المسألة على الدكتور السيد إبراهيم محمّد في كتابه: «قصيدة بانت سعاد وأثرها في التراث العربي» (ص 90 -91).

(38)

شـــرح الزرقانـــي

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري المتوفى سنة 1122هـ.

أودعه الجزء الثالث (ص 57 -59) من شرحه على المواهب اللدنية للقسطلاني.

وهو من فائت بروكلمان في كتابه: «تاريخ الأدب العربي».

(39)

شـــرح ابـن حيـــدر

هو إبراهيم بن حيدر بن أحمد بن حيدر الكرديّ الحسينابادي المتوفى سنة 1151هـ.

يوجد مخطوطاً بالظاهرية.

(40)

أقصـى المـــراد
بشـرح بـانت ســعاد

للشيخ يوسف بن سالم بن أحمد الجفني المتوفى سنة 1178هـ.

شرح وجيز للغاية، منه بدار الكتب المصرية أربع مخطوطات إحداها في سبع ورقات ليس إلاّ.

انظر تعليق الدكتور السيد إبراهيم عليه في كتابه «قصيدة بانت سعاد وأثرها في التراث العربي» (ص 91 -93).

(41)
حسن السَّيْر
بقصيدة كعب بن زهير

لعطاء الله بن أحمد بن عطاء الله بن أحمد الأزهري المتوفى سنة 1186هـ.

هو في حكم الضائع، وهو كان الأصل لكتابه الآتي بعده.

(42)
طريق الرشاد
إلى تحقيق بانت سعاد

لعطاء الله السابق الذكر قبله، اختصره من كتابه حسن السير السابق الذكر قبله.

منه مخطوطة بدار الكتب المصرية، وأحيل القارىء فيه وفي مخطوطته على ما عند الدكتور السيد إبراهيم في كتابه: «قصيدة بانت سعاد...» (ص 162 -164).

(43)
شرح الورنوي

هو عبد الباقي الورنوي المتوفى سنة 1187 هـ.

يوجد مخطوطاً بليبزج، أخبر بذلك بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي (جـ 1 ص 159) من الترجمة العربية.

(44)
شرح ابن فخر الدّين

هو عبد الله بن فخر الدين بن يحيى الحسيني الموصلي المتوفَّى سنة 1188هـ.

يوجد مخطوطاً بدار الكتب المصرية، وبمكتبة البلدية بالإسكندرية وبالمكتبة الوطنية بباريس.

وانظر وصفه عند الدكتور السيد إبراهيم في «قصيدة بانت سعاد» (ص 156 -157).

(45)

شرح الشيخ الحضيكي

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله الجزولي الحضيكي المتوفى سنة 1189هـ.

(مخطوط).

(46)

الإسعاد

بشرح تخميس بانت سعاد

لمحمد بن محمد المغربي التافلاتي الأزهري الخلوتي المتوفى بالقدس عام 1191هـ.

يوجد مخطوطاً بدار الكتب المصرية.

وانظر وصفه ووصف مخطوطته عند الدكتور السيد إبراهيم محمد بكتابه: «قصيدة بانت سعاد» (ص 161).

(47)

شرح الشيخ محمد بناني

هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن مسعود بناني الفاسي الفقيه المالكي المتوفى سنة 1194هـ.

نسبه إليه عبد الله كنون في النبوغ (ج 1 ص 309).

(48)

شرح المدني الطربزوني

هو محمد بن محمود بن صالح الطربزوني الشهير بالمدني المتوفى سنة 1200هـ.

ذكره البغدادي في هدية العارفين.

(49)

شرح محمد الكفوي

هو محمد بن حميد الكفوي، من أهل القرن الثاني عشر الهجري.

يوجد مخطوطاً بباريس وأمبروزيانا، أخبر بذلك بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (جـ 1 ص 159) من الترجمة العربية.

(50)

شرح العلامة الناصري

(من القرن الثاني عشر الهجري)

ذلك ما ذكره بروكلمان عن المؤلف في تاريخ الأدب العربي (جـ 1 ص 160) ثم أخبر أن مخطوطة للشرح توجد بدار الكتب المصرية بالقاهرة (3 :195) وقال الدكتور السيد إبراهيم محمد في كتابه: قصيدة بانت وأثرها في التراث العربي ص 78 بالهامش رقم 3 إنه لم يجدها في مخطوطات الدار.

(51)

فتح الجواد

بشرح قصيدة بانت سعاد

لأبي داوود سليمان بن عمر بن منصور العجيلي الأزهري المعروف بالجمل المتوفى سنة 1204هـ.

ممنه مخطوطة بالمكتبة التيمورية وأخرى بمكتبة الإسكندرية.

(52)

الإرشـــاد
لحلّ نظـم بانت سـعاد

لمسعود بن الحسن بن أبي بكر بن سباط الحسيني المصري القنائي المتوفى بعد سنة 1205 هـ.

يوجد مخطوطاً بدار الكتب المصرية.

وانظر تعليق الدكتور السيد إبراهيم عليه في كتابه «قصيدة بانت سعاد. . .» (ص 159 -161).

(53)

شــرح السـويـديّ

هو أبو المحامد أحمد بن عبد الله بن حسين السويدي العبـاسي البغدادي المتوفى سنة 1210هـ.

نسبه إليه الزركلي في أعلامه.

(54)

الجوهـر الـوقـاد
في شرح بـانت سعـاد

لأحمد بن محمد بن علي الأنصاري الشرواني اليمني المتوفى سنة 1253هـ.

طبع بكلكتا سنة 1231هـ.

(55)

بـلوغ المـراد
علـى بانـت سعـاد

لمحمد بن صالح السباعي الحفناوي المتوفى سنة 1268 هـ.

يوجد مخطوطاً بدار الكتب المصرية، وفي بريل، وبمكتبة جامعة برنستون، أخبر بذك بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» (جـ 1 ص 160) من الترجمة العربية.

(56)

الإســعاد، على بانت سعــاد

للشيخ إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري المتوفى سنة 1277هـ.

طبع بمصر على هامش شرح ابن هشام على القصيدة عدة طبعات أخراها بمطبعة محمد علي صبيح سنة 1346هـ.

(57)

شـرح ابـن سعيـد اليعقـوبي

هو محمد بن علي بن سعيد اليعقوبي الأيلاني المتوفى سنة 1296هـ.

نسبه إليه المختار السوسي في المعسول والزركلي في الأعلام.

(58)

شـرح لطـف علـي التبريزي

يوجد مخطوطاً بالقاهرة وبرلين، أخبر بذلك بروكلمـان في «تاريخ الأدب العربيّ» (جـ 1 ص 159) من الترجمة العربية، وأخبر مع ذلك أنه طبع على هامش طبعة فارسية على الحجر سنة 1274.

(59)

شـرح مصطفـى بـن محمـد

يوجد مخطوطاً بدار الكتب بالقاهرة، وبمكتبـة أسعد أفندي بتركيا.

وانظر ما علقه عليه الدكتور السيد إبراهيم محمد في كتابه: «قصيدة بانت سعاد» (ص 158 -159).

(60)

الإسعـــاد

بشـرح بـانت سعـاد

لإبراهيم بن أبي القاسم بن عمر.

ذكره بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» (جـ 1 ص 160) من الترجمة العربية، وأخبر أنه يوجد مخطوطاً في باتنه.

(61)

شـــرح بانـت سـعاد

لأبي بكر بن عمر بن عبد الله العزيز.

مخطوط في بريل - برلين، أخبر بذلك بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» (جـ 1 ص 160) من الترجمة العربية.

(62)

شـرح عبد الله العكاشـــي

مخطوط في بوهار، أخبر به بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» (جـ 1 ص 159).

(63)

شـرح عبد الله آلْهيتِـــيّ

يوجد مخطوطاً بالمتحف البريطاني وبرلين، أخبر بذلك بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» (جـ 1 ص 160).

(64)

شـرح محمد بن أحمد سعـودي

يوجد مخطوطاً بميونيخ، أخبر به بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» (جـ 1 ص 160).

(65)

شـرح السيد مهدي شمس الفقهاء

يوجد مخطوطاً بمكتبته بكربلاء.

(66)

القـول المـراد
فـي بانـت سعـاد

لمحمد بن حسن نائل المرصفي المتوفًّى سنة 1935 م.

(مطبـــوع).

(67)

الاستسعــاد
بشـرح قصيـدة بانت سعـاد

لأبي حامد محمد المكي بن محمد بن علي البطاوري الربـاطي المتوفى سنة 1355هـ.

(مطبـــوع).

(68)

سعـادة المعـاد
في مختصـر شـرح بانت سعاد

لحكمة بن محمد شريف الطرابلسي المتوفى سنة 1364هـ.

(مطبـوع).

(69)

لَبِنَات الإسعــاد
فـي بانـت سعـاد

لأبي المحاسن محمد المدني بن محمد الغازي الحُسْينيّ الحَسَنَيّ المشيشي العلمي الرباطي المتوفى سنة 1378هـ.

يوجد مخطوطاً بمكتبته المحفوظة عند أهله.

شـراح آخـرون مجهولـون

تلك شروح على بانت سعاد عرفنا مؤلفيها بأسمائهم وفي أزمانهم، وهناك شروح عليهـا مؤلفوها مجهولون، فنرجع إليهم فيما يأتي، وفيهم من تقدم بهم الزمان على من ذكرناهم من الشراح المعـروفين، والجهالـة بمواليدهم ووفياتهم هي التي وضعتهم في هذا الترتيب.

(70)

اللـؤلـؤ الـرطب
المحلّـي جيـد قصيدة كعب

لمؤلف مجهول كان يعيش بعد القرن الحادي عشر بآية أنه نقل عن حاشية عبد القادر البغدادي المتوفى سنة 1093هـ.

والشرح هذا ليس شرحاً على بانت سعاد مجرّدةً، ولكنه شرح على تشطيرٍ عليها يقول مطلعه:

بـانت سعاد فقلبي اليـوم متبـول   مُـولَّـهٌ حـائـر والعقـل معقـول
معـذَّبٌ في هـواهـا حـائـر دَنِفٌ   متيم إثـرهـا لم يعـد مكبـول

يوجد مخطوطاً بدار الكتب بالقاهرة في مجلد كبير.

انظر وصفه عند الدكتور السيد إبراهيم محمد في كتابه: «قصيدة بانت سعاد» ص 128 -132.

(71)

مختصر من شرح ابن هشام على بانت سعاد

لمؤلف مجهول.

يوجد مخطوطاً بالمكتبة الأحمدية بتونس برقم: (4472) في 58 ورقة بخط مشرقي.

(72)

شرح على بانت سعاد (بدون تسمية)

لمؤلف مجهول.

يوجِد مخطوطاً بدار الكتب المصرية ضمن المكتبة التيمورية برقم (1224 شعر) في نيف وأربعين ورقة.

وأحيل على ما علقه عليه الدكتور السيد إبراهيم محمد في كتابه: «قصيدة بانت سعاد» (ص 153 -154).

(73)

شرح مجهول المؤلف

يوجد مخطوطاً ببرلين أخبر به بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» (جـ 1 ص 160) من الترجمة العربية.

ومما ينضاف لشروحها كتاب في إعرابها بالعنوان الآتي:

(74)

شفـاء الفـؤاد
فـي إعراب بانت سعـاد

وهو لأبي محمد عبد الله بن محمـد بن فِرحون اليعمري التونسي الأصل المدني المولد والنشأة والدار المتوفّى سنة 769هـ.

نسبه إليه ابن فرحون في الديباج وهو يترجمه فقال بشأنه ما نصه:

«ولما لقيه الشيخ أثير الدين بن حيّان شيخ عصره، وإمام وقته في العربية ووقف على كلامه في إعراب «بانت سعاد» قال: ما ظننت أنه يوجد بالحجاز مثل هذا الرجل، واستعظم علمه، وأثنى عليه».

ثم انظر «تاريخ الأدب العربي» لبروكلمان (جـ 1 ص 160) من الترجمة العربية.

شـروح على بانت سعـاد
بغيـر العربيـــة

(75)

شـرح بالفـارسيـــة

كتب برسم السلطاني العثماني محمد الثاني يوجد مخطوطاً بـأيا صوفيا، أخبر بذلك بروكلمان في كتابه «تاريخ الأدب العربي» (جـ 1 ص 160) من الترجمة العربية.

(76)

شـرح آخـر بالفارسيـــة

لعبد الحفيظ محمد ناصر انظر «تاريخ الأدب العربي لبروكلمان» (جـ 1 ص 160) في الترجمة العربية.

(77)

شــرح بالتـركيــة

لأيوب صبري، ذكره بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» (جـ 1 ص 160) في الترجمة العربية.

(78)

شــرح آخـر بالتركيـة

يوجد مخطوطاً ضمن مجموع محفوظ بالمكتبة المركزية بالموصل.

بـانت سعــاد
فــي الاستشــهاد اللغـوي

احتوت بانت سعاد جملة من الغريب اللغويّ، فتوسع اللغويون في الاستشهاد عليه بأبياتها حتى استغرقوها أو كادوا، وهذا ابن منظور وحده قد استشهد بعدد من أبياتها في زهاء الستين موضعاً من اللسان.

وأزعم زعماً ليس بالكذب أنه يمكن من يكلف نفسه بعض العناء أن يستخرج من مواضع الاستشهاد بها في المعاجم شرحاً لغوياً عليها يستوفيها أو يناهز ذلك.

ولنأت بواحد من أبياتها اعتباطاً لنمثل به لهذه الدعوى، وذلك قول كعب في البيت الثامن والعشرين من رواية الديوان:

حـرفٌ أخوهـا أبوهـا من مُهَجَّنَةٍ   وعَمُّهـا خـالُهـا قَـوْدَاءُ شِمْلِيـلُ

وهذه شروحه مجتلبة مما جاء في مواضع الاستشهاد به في طائفة من المعاجم ومنها تهذيب الأزهريّ الذي يقول فيه من مادة (ح ر ف) ما نصه:

قال الليث: والحرف الناقة الصلبة، شبهت بحرف الجبل، وأنشد:

جمـاليـة حَـرْف سنـاد يشلهـا   وظيف أزج الخَـطْوِ رَيَّانُ سهـوق

قال: وهذا البيت ينقض تفسير من قال: ناقة حرف أي مهزولة، شبهت بحرف كتابة لدقتها وهزالها، وروى أبو عبيد عن أبي عمرو أنه قال: الحرف الناقة الضامر، قال: وقال بعضهـم: شبهت بحرف الجبل، قال أبو عبيد: وقال الأصمعي: الحرف المهزولة، وقال شمر: الحرف من الجبل ما

نتأ في جنبه منه كهيئة الدكان الصغير ونحوه، والحرف أيضاً في أعلاه، ترى له حرفاً دقيقاً مشرفاً على سواء ظهره.

قال أبو العباس: والعرب تصف الناقة بالحرف لأنها ضامِرٌ، وتشبه بالحرف من حروف المعجم وهو الألف، وتشبه بحرف الجبل إذا وصفت بالعِظَمِ، قال وهذا في تفسير قول كعب:

حـرف أخـوها أبـوها مـن مهجّنـةٍ

وفي نفس المادة من مقاييس ابن فارس ما نصّه:

«ويقال للناقة حرف، قال قوم هي الضامر، وشبهت بحرف السيف، وقال آخرون هي الضخمة، شبهت بحرف الجبل وهو جانبه، قال أوس:

حـرف أخوهـا أبوهـا من مُهَجَّنَة وعمهـا خـالهـا قـوداء مِئْشِيـرُ

وقال كعب بن زهيـر:

حـرف أخوهـا أبوهـا من مُهَجَّنةٍ وعمهـا خـالهـا قَـوْدَاءُ شِمْليـلُ»

وفي المادة نفسها من نهاية ابن الأثير ما لفظه:

«وفي قصيد كعب بن زهيـر:

حـرف أخوهـا أبوهـا من مُهَجَّنَةٍ وعمهـا خـالهـا قَـوْدَاءُ شِمْلِيـلُ

الحرف الناقة الضامرة، شبهت بالحرف من حروف الهجاء لدقتها».

ثم ننقل للقارىء ما جاء من الشرح في لفظ «مهجنة» مما استشهد عليه ببيت كعب، فمنه قول الزمخشري في مادة: (هـ ج ن) من الأساس، وهذا نصُّه:

«جمل وناقة هجان وإبل هجان: بيض كرام، ورجل وفرس هجين إذا لم تكن الأمّ عربية، والأصل في الهُجْنَةِ بياض الروم والصقالبة، وناقة مُهَجَّنَةٌ: منسوبة إلى الهجان، قال كعب:

حرف أخوها أبوها من مُهَجَّنةٍ   وعمها خالها قَوْدَاءُ شِمْلِيل»

وجاء في نهاية ابن الأثير من المادة ما عبارته:

«والهاجن التي حملت قبل وقت حملها، وقال الجوهري: اهتجنت الجارية إذا وُطِئَتْ وهي صغيرة، وكذلك الصغيرة من البهائم، وقد هجنت هي تهجن هجوناً، واهتجنها الفحل إذا ضربها فألقحها، ومنه قصيد كعب:

حرف أخوها أبوها من مُهَجَّنَةٍ

أي حمل عليها في صغرها، وقيل: أراد بالمهجَّنَة أنها من إبل كرام، يقال: امرأة هجان، وناقة هجان: كريمة».

وفي لسان ابن منظور نقلاً عن ابن سيده ما نصه:

«والهجان من الإبل الخالصة اللون والعِتْقِ، من نُوقٍ هُجُن وهجائن وهجان، وأَهْجَنَ الرجل إذا كثر هجان إبله وهي كرامها، وقال في قول كعب:

حَرْفُ أبوها أخوها من مُهَجَّنَةٍ   وعمها خالها قَوْدَاءُ شِمْلِيلُ

قال: أراد بمهجنة أنها ممنوعة من فحول الناس إلا من فحول تلادها لعتقها وكرمها، وقيل: حمل عليها في صغرها، وقيل: أراد بالمهجنة أنها من إبل كرام».

وفي تاج الزبيدي ممزوجاً بالقاموس من المادة ما لفظه.

«والمُهَجَّنَة كمعظمة هي الممنوعة من فحول الناس إلا من فحول تلادها لعتقها وكرمها، قال كعب:

حَرْفٌ أخوها أبوها من مُهَجَّنَةٍ   وعمها خالها قَوْدَاء شِمْلِيلُ

وأنشد لأوس:

حَرْفٌ أخوها أَبوها من مُهَجَّنَةٍ   وعمها خالها قَوْدَاءُ مِئْشِيرُ

وقال: هي الناقة أَوَّلَمَا تَحمِلُ، وقيل: هي التي حُمِل عليها في صغرها، وقيل: أراد بها أنها من كرام الإبل».

واستشهد ابن فارس بالبيت وهو يشرح لفظ الشمْللة في مقاييسه فقال بالنص:

«والشمللة السرعة، ومنه الناقة الشِّمْلاَل والشِّمْلِيل، قال:

حَـرْفٌ أخوهـا أبوهـا من مُهَجَّنَةٍ وعمهـا خـالهـا قَـوْدَاءُ شِمْلِيــل»

وفي نهاية ابن الأثير من مادة (ش م ل) ما عبارته:

وفي قصيد كعب بن زهير:

صَافٍ بأبطـح أضحـى وهـو مَشْمُـولُ

أي ماء صرفته ريح الشمال، وفيه أيضاً:

وعمهـا خالهـا قَوْدَاءُ شِمْلِيـل

الشِّمليل بالكسر السريعة الخفيفة».

وفي لسان ابن منظور من مادة (ش م ل) ما لفظه:

وناقة شِمِلَّة بالتشديد، وشِمْلال، وشِمْليل: خفيفة سريعة مشمِّرة، وفي قصيد كعب بن زهير.

وعمهـا خالهـا قَـوْدَاءُ شِمْلِيـل»

فأَمَّا هذا النسَبُ المُداخَل الذي ذكره كعب في قوله: «أخوها أبوها، وعمها خالها» فقد روى فيه الأزهري عند مادة (هـ ج ن) من تهذيبه تفسيرَيْن: أحدهما مروّي عن أبي الهيثم، والآخر عن المفضّل، وهذا نص ما رواه بعبارته:

قال أبو الهيثم في قول كعب بن زهير:

حَـرْفٌ أخوهـا أبوهـا من مُهَجَّنَةٍ وعمهـا خـالهـا قَـوْدَاءُ شِمْليــل

هذه ناقة ضربها أبوها ليس أخوها فجاءت بذكر، ثم ضربها ثانية فجاءت بذكر آخر، فالولدان ابناها لأنهما ولدا منها، وهما أخواها أيضاً لأبيها ولدا أبيها، ثم ضرب أحدُ الأخوين الأم فجاءت بهذه الناقة وهي الحرفُ، فأبوها أخوها لأبيها لأنه ولد من أمها، والأخ الآخر الذي لم يضرب عمُّها لأنه أخو أبيها، وهو خالها لأنه أخو أمها لأبيها لأنه ولد من أبيها وأبوها نَزَا على أمه».

«وقال ثعلب: أنشدني أبو نصر عن الأصمعي بيت كعب وقال في تفسيره: إنها ناقة كريمة مداخلة النسب لشرفها، قال ثعلب: عرضت هذا القول على ابن الأعرابيّ فخطَّأَ الأصمعيّ وقال: تداخل النسب يُضْوِي الولد».

«قال: وقال المفضل: هذا جمل نزا على أمـه، ولها ابن آخر هو أخو هذا الجمل، فوضعت ناقة، فهذه الناقة الثانية هي الموصوفة، فصار أحدهما أباها لأنه وطىء أمّها، وصار هو أخاها لأن أمهـا وضعته، وصار الآخر عمها لأنه أخو أبيها، وصار هو خالَها لأنه أخو أمها، قال ثعلب: وهذا هو القول».

ذلك مثال الأمر ليس إلاَّ، ولو تتبعنا مواضع الاستشهاد بسائر أبياتها في المعاجم لغطَّيْنَاها بالشرح اللغوي تغطيةً كافية وافية، وذلك ما ينبىء باتِّساعِ روايتها لدى اللغويين، وكثرة تداولهم لها، واعتمادهم عليها في إثبات ما يأتون به من شروح الكلم ومعاني الألفاظ.

بانت سعاد
في الاستشهاد النحوي

يغلب على شواهد النحو أن يؤتَى بها عند مشكل إعراب أو شاذ تركيب لتُجَوِّزَ هذا أو تُسَوِّغ ذلك، لأن الشاهد يكون عربيّاً صميماً، ويكون مقبولاً في نفسه، وحجة على غيره، وقلّ الشاذ من القول والمشكل من الكلام في أبيات بانت سعاد، فقل الاستشهاد منها لأن تراكيبها جاءت على المألوف المعتاد من كلام العرب وأنا الآن بصدد أن أسوق للقارىء بعض ما استشهد به النحاة من أبياتها ومُورِدا ذلك على سياقه في مصادره ليتضح الأمر في الشاهد والمستشهد عليه، فمن ذاك قوله، وهو البيت الحادي عشر منها في رواية الديوان:

أرجو وآمل أن تدنو مودتها   وما إخال لدينا منك تنويل

استشهد به ابن عقيل في باب «ظنّ وأخواتها» من شرحه على ألفية ابن مالك (ص 249 -250) فقال ما نصه:

«يجوز إلغاء هذه الأفعال المتصرفة إذا وقعت في غير الابتداء كما إذا وقعت وسطاً نحو: زيدٌ ظننت قائمٌ، أو آخِراً نحو: زيد قائم ظننت، وإذا توسطت فقيل الإعمال والإلغاء سيّان، وقيل: الإعمال أحسن من الإلغاء، وإن تأخرت.

فالإلغاء أحسن، وإن تقدمت امتنع الإلغاء عند البصريين، فلا تقول: ظننت زيد قائم، بل يجب الإعمال فتقول: ظننت زيداً قائماً، فإن جاء من

لسان العرب ما يوهم إلغاءَها متقدمة أُوِّلَ على إضمار ضمير الشأن كقوله:

أرجو وآمل أن تدنو مودتها ومما إخال لدينا منك تنويل

فالتقدير: «إخاله لدينا منك تنويل» فالهاء ضمير الشأن، وهي المفعول الأول، و«لدينا منك تنويل» جملة في موضع المفعول الثاني، وحينئذ فلا إلغاء، أو على تقدير لام الابتداء كقوله:

كذاك أدبت حتى صار من خلقي إني وجدت مِلاكُ الشيمة الأدبُ

التقدير: «إني وجدت لملاكُ الشيمة الأدبُ»، فهو من باب التعليق، وليس من باب الإلغاء في شيء، وذهب الكوفيون وتبعهم أبو بكر الزبيدي وغيره إلى جواز إلغاء المتقدم، فلا يحتاجون إلى تأويل البيتين».

وقال كعب، وهو البيت السادس والعشرون في رواية الديوان:

كأن أوب ذراعيها وقد عرقت
وقد تلفع بالقور العساقيل

استشهد به ابن هشام، وهو يتكلم عن «فَن القلب في الكلام» وهو الذي جعله القاعدة العاشرة في الباب الثامن من كتابه المُغْنِي (جـ 2 ص 200) في طبعة حجازي بالقاهرة سنة 1372هـ.

وجاء في كتاب «الجُمَل في النحو» المنسوب للخليل بن أحمد (ص59) بتحقيق فخر الدين قباوة ما نصه:

«وقال كعب بن زهير:

يسعى الوشاة بجنبيها وقِيلَهُمُ
إنك يا ابن أبي سلمى لمقتول

نصب «قِيلَهُم» لأنه مصدر في المعنى يقولون قِيلاً، فأضاف وأسقط التنوين».

والبيت هذا يأتي الواحد والثلاثين في رواية الديوان.

وقال كعب، وهو البيت الرابع والثلاثون في رواية الديوان:

كــل ابــن أنــثــى وإن طــالــت ســلامــتــه
يــومــاً عــلــى آلــة حَــدْبَــاءَ مــحــمــول

استشهد به ابن هشام في المُغْنِي (جـ 1 ص 166) وهو يبحث لفظ «كلّ» فقال ما سِيَاقُه:

«اعلم أن لفظ كل حكمه الإفراد والتذكير، وأن معناه بحسب ما يضاف إليه، فلذلك جاء الضمير مفرداً مذكراً في نحو: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَه﴾ وقول أبي بكر وكعب ولبيد:

كــل امــرىء مصبَّــحٌ في أهلِهِ والمــوتُ أدنى من شِــرَاكِ نَعْلِه
كلُّ ابن أنثى وإن طالت سلامتُه يـوماً على آلـة حَـدْبَـاءَ محمـول
ألا كل شيء ما خلا اللَّه باطلُ وكــل نعيم لا محالــة زائِــل»

وقال كعب، وهو البيت الثامن والثلاثون في رواية الديوان:

لــقــد أقــوم مــقــامــاً لــو يــقــوم بــه
أرَى وأســمــع مــا لــو يــســمــع الــفــيــل

استشهد به ابن هشام في المغني (جـ 1 ص 210) وهو يتكلم في معاني «لو» وأوضاعها.

بـانت سـعاد
فـي الاستشهـاد البلاغـيّ

استشهد البلاغيون في بعض قضاياهم بأبيات من قصيدة بانت سعاد، فأردت أن أسوق هنا نماذج من ذلك مجتزئاً عن التعليق عليها بإيرادها على السِّيَاق الذي جاءت عليه في مصادرها، فإلى القارىء سَرْدُ ذلك فيما يأتي من النصوص:

جاء في «حلية المحاضرة» للحاتميّ (جـ 2 ص 83 -84) بتحقيق الدكتور جعفر الكتاني ضمن الفصل الخامس تحت عنوان: «باب تكافؤ السارق والسابق في الإساءة والتقصير ما نصه:

«هذا باب يجري ونظائره في كتابنا الموسومم بِـ«الحالي والعاطل» في نقد الشعر، وقد أوردت هٰهنا دُرَراً يستدل بها على أمثالها، قال الفرزدق:

فيـا ليتنـا كنـا بعيـرين لا نجــد   على منهــلٍ إلَّا نشـلّ ونقْــذَفُ

فاسترقه كثير فقال:

ألا ليتنـا يا عـزّ كنا لـذي غنىً   بعيرين نرعى في الفـلاة ونعزب

قال أحمد بن يحيـى: وهذا مما كره من سوء الأمنيّة.

ومثله قول مجنون بني عامر:

خليلي لا واللّه لا أملك الــذي   قضى اللّه في ليلى ولا ما قضى لِيَا
قضـاها لغيـري وابتـلاني بحبهـا   فهـلا بشيء غيـر ليلى ابتــلانِيَـا

قال: فلما قال: فهلا بشيء... ذهب بصره، وفي رواية أخرى مرض.

ومن فساد المعنى قول لبيد:

لــو يـقــوم الفيــل أو فيّــالُــه زل عن مثــل مـقــامي وزَحَــل

ظن أن للفيال حيلا كحيل الفيل (كذا) فتبعه في هـذه الإساءة كعب بن زهير فقال:

لقـد أقـوم مقـامـاً لا يقــوم بـه غيريَ وأسمع ما لا يسمع الفيل
فـظلّ يـرعـد إلا أن يكـون لــه من النـبي بـإذن الله تـنــويــل»

ومن ذلك ما جاء في كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكريّ بالباب الثاني منه في تمييز الكلام جيّده ورديئه، ضمن الفصل الثاني منه في التنبيه على خطأ المعاني وصوابها (ص 113) ونصه:

«ومن خطأ الوصف قول كعب بن زهير:

ضخـم مقلـدهـا فعـم مقيـدهـا

لأن النجائب توصف بدقة المذبح».

وجاء أيضاً في كتاب الصناعتين بالباب السادس منه، ضمن الفصل الخاص بالكلام عن قبح الأخذ (ص 243) ما نصه:

أنشدنا أبو أحمد قال: أنشدنا أبو بكر عن عبد الرحمان عن عمّه:

حرام على أرماحنـا طعن مُمدْبِـر وتندَقُّ قِدْماً في الصدور صُدُورُها
مسلمـة أعجاز خيلي في الـوغى ومكلومــة لبــاتهــا ونـحــورهــا

أخذه أبو تمام فقال:

أناس إذا ما استحكم الروع كسَّروا صدور العوالي في صدور الكتائب

وأحسنـا جميعــاً.

ومثلـه قـول الآخـر:

يلقى السيـوف بـوجهـه وبنحـره ويُقيم هـامتـه مـقـام ٱلْمِغْفَـرِ
ويقول للطِّرفِ اصطبر لِشَبَا ٱلْقَنَـا فهدمت ركن المجد إن لم تعقر

ومثله قول بكر بن النطاح:

يـتلقـى الـنـدى بـوجـه حَيِيٍّ وصـدور القنـا بـوجـه وَقَـاحِ

وهذا كله مأخوذ من قول كعب بن زهير:

لا يقـع الطعن إلا في نحـورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل»

وفي أمالي الشريف المرتضى (جـ 1 ص 558) ما هذا نصه:

«وممن شبّه سُرْعة أيدي الإبل بأيدي النوائح كعب بن زهير فقال:

كـأن أوب ذراعَيْهـا إذا عـرقت وقـد تلفـع بـالقُـورِ العسـاقِيـل
يوماً يظل به الحـرباء مصـطخداً كـأن ضـاحِيَـهُ بـالشمى مملول
وقـال للقوم حـاديهم وقـد جعلت أيدي الجنادب يركضن الحصى: قِيلُوا
شـدَّ النهارِ ذِراعـاً عَيْـطَلٍ نَصَف قـامت فجـاوبهـا نُكْـدٌ مشـاكيـلُ
نَـوَّاحة رخـوة الضبْعَيْن ليس لهـا لما نعى بكرهـا الناعـون معقول

العساقيل أوائل السراب، ولا واحد لها من لفظها.

أخبر أن ناقته في شدة الحرِّ واتقاد الظهيرة تمرح في سيرها، وتتذرع بيديها، وشبه ذراعيها بذراعي امرأة نَصَفٍ تنوح على ابنها وقد نعي إليها، فهي تُشِيرُ بيديها وتُوَالِي تحريكهما، والعيطل الطويلة العنق، وجعلها نَصَفاً لأنها كادت تيأس من الولد، فهو أشد لحزنها على ابنها وتفجعها عليه، والقور جمع قارة، وهي ما ارتفع واستدار من الرمل، وأراد أن يقول: كما تلفعت القور بالعساقيل فلم يمكنه فقلب».

واستشهد المظفر بن الفضل في كتابه: «نَضْرَة الإغرِيض، في نُصْرَة القريض» (ص 183 -184) بقول كعب منها:

أكـرم بها خلة لـو أنها صـدقت موعودها أو لوَ آنَّ النصح مقبول
لكنهـا خلة قـد سِيطَ من دمهـا فَجْـعٌ وولْـعٌ وإخـلافٌ وتبـديـل

فقال وهو يمثل لما سماه «المتابعة» ما لفظه:

«المتابعة في الكـلام المنثور والشعـر المنظوم أن يـأتي المتكلم بالمعاني التي لا يجوز تقديم بعضها على بعض لأن المعاني فيها متتالية، فالأول يتلوه الثاني، والثاني يعقبه الثالث إلى أن ينتهي المتكلم إلى غاية مراده، ولا يجوز تقديم الثاني على الأول ولا الثالث على الثاني، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ، ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ، ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً، ثُمَّ لِتَبْلُغوا أَشُدَّكُمْ، ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخاً ﴾ وقـال تبارك وتعالى: ﴿ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً، وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةَ تَسَّاقَطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً، فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً ﴾ فهذا من حسن صنعة الكلام في هذا الباب، فسبحان المتلكم به وتعالى علواً كبيراً.

وأنشد الأصمعيّ:

لكنهـا خلة قـد سِيطَ من دمهـا فَجْـعٌ وَوَلْـعٌ وَإِخْـلاَفٌ وَتَبْـدِيـلُ

الفَجْعُ ٱلغدر، والولع الكذب، وقولهم: الدنيا لا تؤمن فَجَائِعُها أي غدارتها، ووجه المتابعة أن الغدر إذا وقع تبين الكذب، وإذا وقع التبديل ظهر الخلاف».

واستشهد المظفر في «نَضْرة الإغريض» (ص 221) مرة أخرى وهو يتكلم عن التوارد الذي هو اتفاق خواطر الشعراء في المصراع الواحد وفي البيت والبيتين بقول كعب من بانت سعاد:

حـرف أخوهـا أبوهـا من مهجنة وعمهـا خـالهـا قـوداء شمليـل

واعتبره من التوارد، وجعله بإزاء قول أوس بن حجر يصف الناقة:

حرف أبوها أخوها من مهجنة   وعمها خالها قوداء مِشْيِرُ

وكما يراه القارئى فإن البيتين اتفقا في العروض وفي العبارة عن المعنى ما خلا كلمة القافية التي كانت المئشير عند أوس، وكانت الشمليل عند صاحب بانت سعاد.

ولم يسلم كعب على مكانته في الشعر من أن يتهم بالأخذ من غيره من الشعراء، ومما عدوه عليه من ذلك قوله:

وقد قلن بالبرديّ أول مشرب   أَجَلْ جَيْرِ إن كانت سقته بوارقه

قالوا إنه اهتدمه من قول طفيل الغنويّ:

وقلن ألا البرديّ أول مشرب   أَجَلْ جَيْرِ إن كانت رواء أسافلُهْ

ومن ذلك قوله ينعت الحمار:

يقلب للأصوات والريح هاديا   تميم النضيّ برصته المكادم

أخذه لفظاً ومعنى من قول أوس بن حجر:

يقلب لأصوات والريح هادياً   تميم النضيّ كدحته المناسف

وقال أوس بن حجر مرة أخرى يصف رأس حمار:

ورأساً كدَنِّ التجْر جَأْباً كأنما   رمى حاجبيه بالحجارة قَاذِف

فنسخه منه نسخاً فقال:

ورأسا كدَنِّ التجر جأباً كأنما   رمى حاجبيه بالجلامد رَاجِمُ

وقال كعب يذكر سرعة الناقة ويصف حركة يديها في سيرها:

كأن أوب ذراعيها إذا عرقت   وقد تلفع بالقور العساقِيلُ
يوماً يظل به الحرباء مصطخداً   كأن ضاحيَه بالشمس مملول
وقال للقوم حاديهم وقد جعلت   وُرْقُ الجنادب يركضن الحصى: قيلوا
شد النهار ذراعاً عَيْطَلٍ نَصَفٍ   قامت فجاوبها نُكْدٌ مثاكيل

نـواحة رخـوة الضبعين ليس لهـا   لما نعى بكرهـا الناعـون معقول
تفـري اللَّبان بكفيهـا ومـدرعهـا   مشقق عن تـراقيهـا رعـابيـل

ونظيره قول المثقب العبدي من قبله:

كـأن أوب يَـدَيْـهـا إلـى   حيـزومهـا فـوق حصى الفَـدْفَـد
نـوح ابنـةِ الجَـوْنِ على هـالـكٍ   تـنـدبـه رافـعـة الـمِـجْـلَدِ

ابنة الجون هذه نائحة شهيرة في العهد الجاهلي، والمجلد بزنة المنبر أدَاةٌ من الجلد تكون بيد النائحة تلطم بها وجهها ساعة النوح على الهالك.

ويُغْضَى عن هذا الأخذ بما وسع فيه كعب وأضاف إليه من التكملات والتفاصيل.

معارضات بانت سعاد

تطير شعرة قصيدة من القصائد الجياد، فيتناقلها الرواة، ويُطْرِيها النقاد، ويتناولها اللغويون والأدباء بالشروح المفردة، والتعاليق المستقلة، وقد يحرّك ذلك غَيْرَة الشعراء منها فيتصدون لمعارضتها إظهاراً للمقدرة وطمعاً في التبريز على القائل الأول.

وأن يتصدّى الشعراء لمعارضة قصيدة فذلك اعْتِدَادٌ بشاعرية ناظمها، وهو ما حرك المنافسة وبعث على المغالبة في ميدان القريض.

والعُرْف في المعارضة أن تكون القصيدة المعارضة في نفس البحر الذي نظم عليه الشاعر الأول، وعلى الرويّ عَيْنه، وفي الموضوع بالذات، لتتأتّى المحاكمة بين الشاعرين من قريب، وفي نطاق محدود يجعل المقارنة سهلة ميسورة.

وكثيرة هي القصائد التي كانت هدفاً للمعارضة في القديم وفي الحديث، وإن من أشهرها المقصورة الدريديّة التي جعلها الدريدي في مدح الشّاهِ ابن ميكال والتي قيل عنها إنها أحاطت بأكثر الكلم المقصورة في اللسان العربي.

وقد عارضها جماعة من الشعراء من معاصريه فَمَنْ بعدهم، نذكر منهم حازماً القرطاجنّي الذي عارضها بمقصورة طويلة تقع في ألف بيت مدح بها المستنصر الحفصي أمير تونس.

وعارضها من المغاربة الشيخ عبد الرحمان المكودي، وهو إذ كان قد نظم مقصورته في مدح الجناب النبويّ لا في أحد من أهل الجاه الدنيويّ فقد شاء أن يتسامى على ابن دريد وعلى حازم بحسن القصد وشرف التوجه فقال عن مقصورته:

مقصورةٌ لكنها مقصورةٌ ... على امتداح المصطفى خير الورَى
ما شُبْتُها بمدح خلقٍ غيره ... لرُتْبَةٍ أحظى بها وَلاَ جَدَا
فاقت عَلاءً كل ذي مقصورة ... وإن هم نالوا الأيادي واللُّهَا
فحازم قد عدّ غير حازمٍ ... وابن دُرَيْدِ لم يُفِدْهُ ما دَرَى

ومن ذلك العينية النفسيّة لابن سينا التي مطلعها:

هبطت إليك من المحلّ الأرجع ... وَرْقَاءُ ذات تحنُّنٍ وتوجُّع

وقد عارضها غير واحد من الشعراء كان منهم الشاعر المصري أحمد شوقي الذي استهلّ معارضته لها بقوله:

غُضّي قِنَاعَكِ يا سعاد أو ارفَعِي ... هذي المحاسن ما خلقن لبُرْقُعِ

ومن القصائد التي ألحَّ عليها الشعراء بالمعارضة إلحاحاً داليّة أبي الحسن علي بن عبد الغني الحُصْرِيّ المتوفى سنة 488هـ تلك التي مطلعها:

يا ليلُ آلصَّبُّ مَتى غَدُهُ؟ ... أقيَامُ الساعة مَوْعِدُهُ

وقد تكاثرت معارضاتها حتى عني بها الشيخ عيسى بن إسكندر المعلوف فدونها في مجموع صدر مطبوعاً سنة 1921م.

ومن ذلك في المديح النبوي بردة البوصيريّ وهمزيّته، وقد ضَاهَاهُمَا الجَمُّ الغَفِيرُ من الشعراء من زمن البوصيري وإلى اليوم.

وقد كان الشاعر المرحوم أحمد شوقي من أولع الشعراء بمعارضة شهيرات القصائد، فنظم قصيدة في معارضة سينيّة البحتري، وأخرى في

معارضة داليّة الشريف الرضي في رثاء أبي إسحاق الصابي، وعارض النونية الزيدونية والدالية الحُصُريّة السابقة الذكر، ثم لم يَخِمْ عن معارضة البوصيريّ في بردته التي تُعَدُّ من عيون القصائد في المديح النبويّ، وكان شوقي يُسَدِّد ويُقاربُ أحياناً في المعارضة، وأحياناً يأتي دُوناً ومتخلّفاً كما أقَرَّ على نفسه بنفسه في معارضة البردة البوصيريّة فقال:

المادحون وأربابُ الهَوى تَبَعٌ   لصاحب البردةالغَرَّاء ذِي القَدَمِ
اللّه يشهد أنّي لا أعارضه   من ذا يعارض صَوْبَ العارض العمم
وإنما أنا بعض الغابطين ومن   يغبط وليَّك لم يُذْمَمْ وَلَمْ يُلَمِ
مديحه لك حبّ صادق وهوىً   وصادق الحبّ يُمْلِي صادق الكَلِمِ

ولقد كانت القصيدة الكعبيّة مَثَابَةً لطائفة من الشعراء، حاولوا أن يضاهوها، وجلهم أو كلهم إنما قصدوا بتلك المضاهاة التزلُّف من الجناب النّبوي والتحرُّم به، وطلب الخيرَ عنده، فأما التبريز على صاحبها فكان أمراً جانبيّاً إن كان منهم من طمع فيه، ولم يَتَسَامَ أيٌّ منهم أن يدعي أنه تجاوز كعباً أو ساواه، إمَّا اعترافاً ضمنيّاً بالقصور، وإما تأدُّباً مع المقام، وفي هذا الشأن ما عبّر عنه البُوصِيري في مضاهاته فقال:

وما على قول كعبٍ أن توازِنه   فَرُبَّمَا وَازَنَ الدُّرَّ المثاقيلُ
وهل تعادله حسناً ومنطقها   عن منطق العرب العَرْبَاءِ معدول
وحيثُ كنَّا معاً نرمي إلى غرضٍ   فَحَبَّذَا ناضِلٌ مِنَّا ومنضول

وذلك أيضاً ما نطق به ابن عبد الظاهر فقال:

لقد قال كعب في النبيّ قصيدة   وقلنا، عسى في مدحه نتشارك
فإن شمِلتْنَا بالجوائز رحمةٌ   كرحمة كعب فهو كعب مُبَارَك

وكنت قد فَتَّشْتُ على مُكْثٍ في المظانّ بحثاً عن معارضات القصيدة الكعبية فتعرفت على طائفة من الشعراء الذين عارضوها، وهم الذين أذكرهم مع إيراد مطالع معارضاتهم وأعداد قوافيها في المسرد الآتي:

(1)

معارضة الشماخ بن ضرار

يكون الشماخ بن ضرار الذبياني أول من تصدَّى لمعارضة كعب في لاميته هذه، ويستدل السيد صلاح الدين الهادي في كتابه: «الشماخ بن ضرار الذبياني: حياته وشعره» (ص 321 -329) على كون الشماخ هو الذي أخذ عن كعب وعارضه بما يأتي:

(1) أن كعباً كان أوسع شهرةً من الشماخ وأبعد منه صيتاً.

(2) أن لاميته أكثر سَيْرُورَةً في الناس بما أنها قيلت في مدح نبيّ الإسلام، عليه الصلاة والسلام.

(3) أن كعباً من الشعراء الذين يمثلون اتجاهاً مُعَيَّناً في الشعر له خصائصه ومميزاته.

وعليه فإنه يكون من الطبيعي أن يتصدى الشماخ لمعارضة كعب إثباتاً لقدرته.

والمعارضة هذه في قصيدة من ثلاثين بيتاً يقول الشماخ في مطلعها:

بانت سعاد فنومُ العين مملول وكان من قصر من عهدها طول

والقصيدة مثبتة في ديوان الشماخ (271 -283) بتحقيق السيد صلاح الدين الهادي في طبعة دار المعارف ضمن سلسلة الذخائر برقم: (42).

(2)

معارضة عبدة بن الطبيب

تتمثل هذه المعارضة في القصيدة السادسة والعشرين من المفضليات (ص 135 -145) وهي من 81 بيتاً يقول في مطلعها:

هل حبل خولة بعد الهجر موصول أم أنت عنها بعيدُ الدار مشغول

والأَمَارَةُ على قصد عبدة إلى المعارضة بها ما جاء عنده فيها من أشطار وتعبيرات هي أشبه بأمثالها عند كعب من المــاء بالماء، وأحيل هنا على المقارنة الموفَّقة والصائبة بين القصيدتين عند الدكتور السيد إبراهيم محمد في كتابه: «قصيدة بانت سعاد وأثرها في التراث العربي» (ص 192 -199).

(3)
معـارضـة الأخطــل

تقع معارضة الأخطل في 32 بيتاً يقول في طالعتها:

بــانت سعاد ففي العينين ملمــول   من حبّها وصحيح الجسم مخبول

ويوجد نص المعارضة كاملاً بديوان الأخطل (ص 12-16) في نشرة الأب أنطوان صالحاني اليسوعي.

ويعلم قارىء هذا المعارضات الثلاث أن أصحابها إنما قصدوا إلى المعارضة في الفنّ القوليّ، فأمّا الغرض الشريف الذي قصد إليه كعب، وهو المديح، في الجناب النبويّ فإن الذين قصدوا إليه بالذات، ومعه أيضاً الغرض الفنّي فهم الآتي ذكرهم على ترتيب أزمانهم آناً بعد آن، بقدر التيسّر والإمكان.

(4)
معـارضـة الزمخشـــري

هو جار الله أبـو القاسم محمـود بن عمر بن أحمـد الخوارزمي الزمخشري المفسر الأديب اللغوي المتوفى سنة 538هـ.

قال في مطلعها:

أضــاء لي باللِّوَى والقلب متبـول   نجْدِيٌّ برقٍ بنار الحبّ موصـول

وهي من 36 بيتاً، وهي بكاملها في المجموعة النبهانية في المدائح النبوية (جـ 3 ص 33 -36).

(5)

معـارضـة الأبِيـوَرْديّ

هو صلاح الدين أبو المظفر محمد بن أحمد القـرشي الأبيورديّ المتوفى سنة 557هـ.

افتتحها بمطلع يقول فيه:

خاض الدجى ورِدَافُ الليل مسدولُ ... بَرْقٌ كما اهتز ماضي الحد مصقول

وهي من 30 بيتاً، وهي بتمامها في المجموعة النبهانية (جـ 3 ص 30 -33).

(6)

معارضـة حجـة الأفاضـل

هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي الخوارزمي الملقب بحجة الأفاضل المتوفى سنة 560 بالتقريب.

قال في مطلعها:

أضاء برق وسجف الليل مَسْدُول ... كمـا يهـز اليمــاني وهـو مسلول

(7)

معارضـة الأميـن الحلبـي

هو أمين الدين أبو الفضل عبد المحسن بن محمود بن عبد المحسن التنوخي الأديب الشاعر الكاتب الوزير المتوفى سنة 643هـ.

مطلعها قـولـه:

صَبٌّ عليـل وما بـالـربـع تعليـل ... فليس إلا على الإعْـوَالِ تَعْوِيـلُ

عدة أبياتها 140 بيتاً، وهي جمعاء في المجموعة النبهانية (جـ 3 ص 36-47).

(8)

معارضة الصرصري

هو جمال الدين أبو زكرياء يحيى بن يوسف بن يحيى الأنصاري البغداديّ الصرصري المتوفى سنة 656 هـ.

مطلعها قوله:

رَكبَ الحجازِ وفيك الخير مَأمول   هل عندك اليوم للمشتاق تنويل

وهي من 98 بيتاً، وهي بكاملها في المجموعة النبهانية (جـ 3 ص 23 -30).

(9)

معارضة ابن عبد الظاهر

هو محيي الدين أبو الفضل عبد الله بن عبد الظاهر بن نشوان الجذامي السعدي المتوفىّ سنة 692هـ، وإليها الإشارة بقوله:

لقد قال كعب في النبيّ قصيدةً   وقلنا، عسى في مدحه نتشارك
فإن شملتنا بالجوائز رحمة   كرحمة كعب فهو كعب مُبَارك

وقوله: (فهو كعب مبارك) يريد به التيمّن، وهو خلاف قولهم: (هو مُدوَّر الكعب) لمن يتشاءم به، وعلى ذلك قول الشاعر:

مدوّر الكعبِ فاتّخذْهُ   لفلِّ جَيْشٍ وثَلِّ عرش
لو نظرت عينه الثريَّا   أدخلها في بنات نَعْشِ

(10)

معارضـة البوصيـري

هو شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي المصري البوصيري المتوفى سنة 696 هـ.

وسَمَ البوصيريّ معارضته بالعنوان التالي:

ذُخْرَ المعاد، في وزن بانت سعاد

وافتتحها بطالعة وعظية تذكيريّة يقول فيها:

إلى متى أنت بـاللذات مشغـول ... وأنت عن كل ما قـدَّمْتَ مسئول
في كل يوم تُرجّي أن تتوب غداً ... وعقـد عزمـك بالتسويـف محلول
أما يُرَى لك فيما سرّ من عملٍ ... يـوماً نشـاطٌ وعمـا سـاء تكسيـل
فجـرّد العزم إن المـوت صَارِمُـهُ ... مُـجـرَّدٌ بيـد الآمـال مـسـلول
واقطع حبال الأمانيّ التي اتصلت ... فـإنمـا حبلهـا بـالـزُّورِ مسلول
أنفقت عمـرك في مـالٍ تحصّله ... وما على غير إثم منـك تحصيل
ورحت تعْمُـر داراً لا بقـاء لهـا ... وأنت عنهـا وإن عمّـرت منقـول
جـاء النذيـر فشمّـر للمسير بـلا ... مَهْـلٍ فليس مع الإنـذار تمهيـل

وامتَدَّ نفس البوصيري في معارضته حتى بلغ بها إلى 204 أبيات وقال في خاتمتها مُشِيراً إلى قضية كعب وما ناله من عفو رسول الله عنه وراجياً أن يكون له حظ مثل حظه في التجاوز والغفران:

هَا حُلَّةٌ بخِصَالٍ منك قد رقمت ... مـا في محاسنهـا للعيب تخليـل
جاءت بحبي وتصديقي إليك وما ... حبّي مَشُوبٌ ولا التصديق مدخول
لم أنتحلهـا ولم أغصب معانيهـا ... وغيـر مدحـك مغصوب ومنحـول
ومـا على قول كعب أن تـوازنـه ... فــربَّمـا وَازَنَ الــدرّ المثـاقيـل
وحيث كنّا معاً نرمي إلى غَرَضٍ ... فَحَبَّـذَا نــاضــل منــا ومنضــول
إنْ أقْفُ آثـاره إني الغـداة بهـا ... على طـريق نجاح منـك مدلـول

لما غفَرت لـه ذنباً وصُنْتَ دماً لولا ذِمَامُك أضحى وهو مـطلول
رجوتُ غفران ذنبٍ موجب تَلَفِي لـه من النفس إمـلاء وتســويـل
وليس غيــرك لي مــولىً أُؤَمِّـلُهُ بعـد الإله وحسبي منـك تـأميـل

والمعارضة بنصها الكامل مثبتة في ديوان البوصيريّ (ص 172 -185) بتحقيق محمد سيد كيلاني المطبوع بمصر سنة 1955م.

واستطرد هنا بالإخبار عن شرح على معارضة البوصيري من عمل الإمام عبد الملك بن عبد السلام بن عبد الحفيظ بن دعسين اليمني المتوفى سنة 1006هـ وسمه بالعنوان التالي:

«إعداد الزاد، بشرح ذخر المعاد»

من هذا الشرح مخطوطة بمكتبة الأحقاف للمخطوطات بتريم من حضرموت، وأخرى بمكتبة الكتاني ضمن الخزانة العامّة بالرباط.

(11)

معـارضـة العــزازي

هو شهاب الدين أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم العزازي المصري المتوفى سنة 710هـ.

ابتدأها بقوله:

دَمِي بأطلال ذات الخـال مطلول وجيش صبـري مهـزوم ومفلول

عدة أبياتها (52) بيتاً، وتقف على نصها الكامل في المجموعة النبهانية (جـ 3 ص 48 -52).

(12)

معارضـة ابن سيد النـاس

هو الشيخ فتح الدين محمد بن محمد بن أحمد اليعمري المعروف بابن سيد الناس المتوفى سنة 734هـ.

سمّى ابن سيد الناس معارضته بالتسمية التالية:

«عُدَّة المعاد، في عروض بانت سعاد»

وافتتحها بالمطلع التالي:

قلبي بكم يا أُهَيْلَ الحيِّ مأهول ووصله بأماني الوصل مَوْصُول

وهي من 186 بيتاً، وهي بتمامها في المجموعة النبهانية. (جـ 3 ص 60 -75).

(13)

معارضة ابن حيان الأندلسي

هو أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي النفزيّ الأندلسيّ الغرناطيّ المتوفى سنة 745هـ.

وسَمَ أبو حيان معارضته بالعنوان التالي:

«المورد العذب، في معارضة قصيدة كعب»

وافتتحها بمقدمة غزلية يقول فيها:

لا تعذلاه فما ذو الحبّ معذول العقل مختبل والقلب متبول
هزت له أسمراً من خوط قامتها فما انثنى الصب إلا وهو مقتول
جميلة فصل الحسن البديع لها فكم لها جُمَلٌ منه وتفصيل
فالنحرُ مَرْمَرَةٌ والنشْر عَنْبَرةٌ والثغر جوهرة والريق معسول

عدة أبياها 83 بيتاً، وتجدها كاملة في المجموعة النبهانية (جـ 3 ص 52 -59).

(14)

معارضة ابن جابر

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن قاسم القيسي الأندلسي الوادياشي المتوفى سنة 749هـ.

تقع المعارضة في 116 بيتاً يقول في طالعتها:

بانت سعاد فعقد الصبر محلول ... والدمع في صفحات الخد مبذول
لم يخف حُبّيَ عن واشٍ وكيف بأن ... يخفى وسائل دمعي عنه مسئول
عذاب قلبي عذْب في محبّتها ... وعاذلي في هواها اليوم معذول
قد كلّت الرسل فيما بيننا ومضت ... في الهجر أيامنا والهجر مملول
إن المحب على وصْلٍ لَفِي تعَبٍ ... فكيف حالته والهجر موصول

ومنها قوله متوسلاً، منزِّلاً حاله على حال كعب حين وفد على الرسول تائباً فتقبل منه وعفا عنه:

قالوا أتيت وقد قصرت من زمن ... وهل قبولٌ مع التقصير مأمول
بأي وجه تلاقيهم فقلت لهم ... ضيف الكرام على العلات مقبول
قد كان ما كان من كعب وحين أتى ... مُؤَمِّلاً لهم ما خاب تأميل
وقد مشيتُ على آثاره وعلى ... إحسانهم لي في الإسعاف تعويل

ومنها قوله في خاتمتها معيداً ذكر توبة كعب تارة أخرى ومُتَيَمِّناً به، وراجياً أن يصيبه مثل ما أصاب كعباً من المرحمة والعتبى:

يا سيد الرسل عبد قد أتى وله ... من سالف الذنب تخويف وتخجيل
وقد أتيت بضعفي ما أتاك به ... كعب على أن باعي ما له طُول
فإن قبلت ونالتني مراحم قد ... نالته لم يبق لي من بعدها سُولُ
وإن كعباً علينا إذ غدا سبباً ... لَكَعْبُ خير بِيُمْنِ اللّه مشمول

ثم اقرأها كاملة النص في المجموعة النبهانية (جـ 3 ص 89 -98).

(15)

معارضة الصفـدي

هو صلاح الدين أبو الصفاء خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي المتوفى سنة 764هـ.

يقول في مطلعها:

سلوا الدموعَ فإن الصبّ مشغول ولا تَمَلُّوا ففي إمـلائهـا طـول

وهي من 68 بيتاً، وهو أوردها بكاملها في كتابه «الوافي بالوفيات» (جـ 1 ص 94 -97).

(16)

معارضـة ابـن نبـاتـة

هو جمال الدين أبو بكـر محمد بن محمـد بن محمد الجـذامي المصريّ المتوفى سنة 768هـ.

قال في مطلعها:

ما الطرف عندكم بالنوم مكحول هـذا وكم بيننا من ربعكم مِيـلُ

وهي من 82 بيتاً، وتجدها كاملة في المجموعة النبهانية (جـ 3 ص 83 -89).

(17)

معارضـة البرهان القيراطـي

هو برهان الدين إبراهيم بن عبد الله بن محمد الطائي المصري الشاعر المتوفى سنة 781هـ.

قال في مطلعها:

جرح الجفون بقذف العين تعديل والحب شـاهده والجـرح مقبـول

وهي من 181 بيتاً، وتجدها كاملة في المجموعة النبهانية (جـ 3 ص 98 -113).

(18)

معارضة ابن الصائغ

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن علي الزمردّي المعروف بابن الصائغ المتوفى سنة 786هـ.

قال في مطلعها:

دع قلبه فهو مشغوف ومشغول ودمعَه فهو مطلوب ومطلول

عدة أبياتها 43 بيتاً، وهي بنصها الكامل في مجموعة النبهاني (جـ 3 ص 113 -116).

(19)

معارضة العِزّ الموصلي

هو عز الدين علي بن الحسين بن علي الموصلي الشاعر المتوفى سنة 789هـ.

قال في مطلعها:

هل يبرىء الصبّ قبل الموت تقبيل فقلبه بكئوس الشوق معلول

وهي من 33 بيتاً، وهي بنصها التام في المجموعة النبهانية (جـ 3 ص 116-119).

(20)

معارضة ابن أيبك

هو علاء الدين الدمشقي المعروف بابن أيبك، من أهل القرن الثامن الهجري.

وضع عليها العنوان التالي: «شمس المطالع، في مدح القمر الطالع» وافتتحها بقوله:

مَصُونُ دمعي على الخدين مبذول وفِيكُمُ أنا معذور ومعذول

وهي من 53 بيتاً، وتقف عليها كاملة في المجموعة النبهانية (جـ 3 ص 119 -123).

(21)

معارضـة النـور التميمـيّ

هو نور الدين أبو الحسن علي بن محمد التميميّ المصريّ، من أهل القرن الثامن الهجري.

يقول في مطلعها:

سلمى سلمت ففيك الصبّ مقتول والغَدْرُ منك شبيه العُذْرِ مقبول

وهي في مائة بيت، وهي بكاملها في المجموعة النبهانية (جـ 3 ص 75 -82).

(22)

معارضـة المجد الفيروزآبـادي

هو مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزآبادي صاحب القاموس المحيط المتوفى سنة 817هـ.

سَمّى معارضته: «زاد المعاد، في وزن بانت سعاد» واستهلها بقوله:

هل حبلُ عزّة بعد البين موصول أو بَارِقُ الوصل بين البين مأمول

وهي في 168 بيتاً، وهي بتمامها في المجموعة النبهانية (جـ 3 ص 123 -138)، وهو كان قد وضع عليها شرحاً مبسوطاً في مجلدين.

(23)

معارضـة ابـن ظهيـرة

هو جمال الدين أبو حامد محمد بن علي المكي المعروف بابن ظهيرة المتوفى سنة 819هـ.

قال في مطلعها:

قلبُ المحب عن العذّال مشغول　　وليس ينفع فيه القَالُ والقِيلُ

وهي 52 بيتاً، وهي في مجموعة النبهاني (جـ 3 ص 139 -142).

(24)

معارضة الزين القلقشندي

هو زين الدين عبد الرحمان بن محمد بن إسماعيل المقدسي المعروف بالزين القلقشندي المتوفى سنة 826هـ.

افتتحها بقوله:

سيف الجفون على العشّاق مسلول　　وصارم اللحظ مسنون ومصقول

وهي من 44 بيتاً، وتقف عليها كاملةً في المجموعة النبهانية (جـ 3 ص 143 -146).

(25)

معارضة الشمس النواجي

هو شمس الدين محمد بن حسن بن علي النواجي المصريّ الشاعر المؤلِّف المتوفى سنة 859هـ.

يقول في مطلعها:

قلب على الحب والأشواق مجبول　　هيهات ينفع فيه القال والقيل

وهي من 87 بيتاً، وهي بنصها التام في مجموعة النبهاني (جـ 3 ص 146 -152).

(26)

معارضة البهاء الباعوني

هو بهاء الدين محمد بن يوسف بن أحمد الباعوني المتوفى سنة 916هـ.

مطلعها قولـه:

نومي بماء قَـرَاح السُّهْدِ مغسـول   فكيف يحصل لي في طيفكم سُولُ

وهي في 78 بيتاً، وهي بكاملها في المجموعة النبهانية (جـ 3 ص 153 -158).

(27)

معارضـة ابـن مليـك

هو علاء الدين علي بن محمد بن علي بن مليك الشاعر الحموي ثم الدمشقي المتوفى سنة 917هـ.

ابتدأها بمطلعه هذا:

رأى العقيق فـأجرى دمعـه لُولُـو   متيّـم دمــه بــالهـجــر مــطلول

وهي 54 بيتاً، وهي في مجموعة النبهاني (جـ 3 ص 158 -162).

(28)

معارضـة الحميـدي

هو عبد الـرحمان بن أحمـد بن علي الحميدي الـوراق المصري المتوفى سنة 1005هـ.

يقول في مطلعها:

بانت سُليْمى ففكر الصبّ مشغول   وقلبه من لظى الهجـران مشغُول

أودعها ديوانه الذي سماه: «الدر المنظم، في مدح الحبيب الأكرم».

وانظر هامش الصفحة 213 من كتاب «قصيدة بانت سعاد» للدكتور السيد إبراهيم، فعنه نقلنا خبر هذه المعارضة.

(29)

معارضـة بانـت سـعاد

لعبد الرحمان بن حسن بن عبد الفتاح التي قال في مطلعها:

لي في الهوىَ مذهب ما عنه تحويل   ومـا لحُبِّي تغـييـر وتبـديـل

أودعها ديوانه الذي سماه: «عقود الجمان، في مدح النبي العدنان».

وانظر مرة أخرى هامش الصفحة 213 من كتاب «قصيدة بانت سعاد» للدكتور السيد إبراهيم، فمنه استفدنا أيضاً خبر هذه المعارضة.

(30)

معارضـة عبد الهادي السجلماسي

هو أبو محمد عبد الهادي بن عبد الله بن علي الحسَني السجلماسي المتوفى سنة 1056هـ.

توجـد مخطـوطـة.

(31)

معارضـة عبد الغنـي النابلسـي

هو الشيخ عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي الفقيه الأديب المتصوف المتوفى سنة 1143هـ.

قال في مطلعهـا:

هل في البروق من الأحباب تعليل   لا والذي ماله في الحكم تعليل

عدة أبياتها 50 بيتاً، وتجدها كاملة في مجموعة النبهاني (جـ 3 ص 162 - 166).

(32)

معارضـة أميـن الجنـدي

هو الشيخ أمين بن خالد بن محمد بن أحمد الجندي الحمصي المتوفى سنة 1257هـ.

استهلَّها بقولـه:

وافتـك بالعـز خودٌ زَانَهـا الـطول　　　بـديعةٌ لَحْـظُها بـالسحر مكحـول

(33)

معارضـة رشيـد الدحـداح

هو رشيد بن غالب بن سلوم، من مسيحيـي لبنان الوجهاء الأعيان، وهو بَعْدُ لغوي وأديب وصحابي ومؤرخ، توفي سنة 1306هـ.

أما معارضته للقصيدة الكعبية فننقل للقارىء بشأنها ما ذكره جرجي زيدان في كتابه «تاريخ آداب اللغة العربية» (جـ 4 ص 238) ونصه ببعض اختصار وتصرف فيه:

«امتاز (يريد رشيد الدحداح) بتعشق العلم، وخدم حكومة لبنان في شبابه، ثم نفر من فساد الأحوال فنزح إلى مرسيليا، واشترك في التجارة مع حَمِيهِ الشيخ مرعي الدحداح، وأخيراً انقطع للأدب، وسكن باريس، وأنشأ فيها جريدة البرجيس، واتصل بباي تونس لما جاء باريس، ومدحه بلامية عارض فيها لامية كعب بن زهير، فأجازه واصطحبه وجعله ترجماناً له. . .».

(34)

معارضـــة الشـديـاق

هو أحمد فارس بن يوسف بن منصور الشدياق المتوفى سنة 1314هـ.

قـال في مطلعهـا:

زارت سُعادُ وثوب الليل مسدول فما الرقيب بغير النشر مدلول

جعلها في مدح باي تونس المشير أحمد باشا، وكان هذا الباي قد زار فرنسا بدعوة منها سنة 1846هـ، وكان الباي في زيارته هذه لفرنسا قد تبرع على فقراء باريس ومرسيليا بهبةٍ مالية كبيرة المقدار، فقال الشدياق في ذلك من المعارضة:

لما بدا بفرنسا نور طلعته ومن يديه لهم سُحْبٌ أَهَالِيلُ
لم يبق في الشرق أو في الغرب من أحدٍ إلا وعنه مديح فيه منقول

ومنها:

ساسَ البلاد بعدل ليس يصرفه لهو المعيشة عنه والأباطيل
وقام بالدين والدنيا فما برحا به سعيدَيْنِ لا يَعْدُوهُمَا سُولُ

وكان الباي قد أجازه عليها بصِلَةٍ سنيّة، ولكنه أَبى أن يسمعها منه إعظاماً للجنَاب النبويّ، وابتعاداً منه أن يسمع في نفسه مديحاً يُضَاهَى به مديح الرسول عليه السلام، وجارى الشدياق الباي في رغبته أن تطوى تلك القصيدة ولا تذاع في الناس، فلما توفي الباي نشرها الشدياق فكان لها صَدىً بين الأدباء والنقاد.

وقد عُنيَ المستشرق الفرنسيّ غوستاف دُوغَا بالقصيدة هذه فنشرها سنة 1851 نصاً وترجمة فرنسيّة.

(35)

معارضة النبهاني

هو يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني المتوفى سنة 1350هـ.

قال في مطلعها:

هواي طيبة لا بيضَاءُ عطبول ومنيتي عينها الزّرقاءُ لا النيلُ

أودعها بالجزء الثالث من مجموعته في المدائح النبوية (ص 166 -176).

(36)

معارضة الحملاوي

هو أحمد بن محمد الحملاوي، مدرس مصريّ، له ديوان شعر مطبوع أكثره في المديح النبويّ، توفي سنة 1351هـ.

يقول الحملاوي في طَالِعة معارضته:

القلب بالحب مشغوف ومشغول والجسم بالوجد منهوك ومهزول
والدمع خدَّد خَدِّي من تساقطه والصبر منقطع والوجد مَوصُول
يا عاذلي كُفَّ عن لومي وعن عذَلي فَقَلَّما قَبِلَ التأنيب مَعْذُول

تخميسات
على بانت سعاد

واهتم شعراء آخرون بتخميس بانت سعاد توسيعاً لِمَعَانيها وعرفت منهم من يذكرون بَعْدُ مرتبين على الوفيات:

(1)
تخميس الشهاب السهروردي

هو شهاب الدين أبو الفتوح يحيى بن حبش أميرك السهرورديّ الفيلسوف الصوفي المتوفى سنة 587هـ.

يوجد مخطوطاً بباريس وجوتا وتوبنجن، أخبر بذلك بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (1 ص 161) من الترجمة العربية.

(2)
تخميس الشيخ شعبان الآثاري

هو زين الدين شعبان بن محمد بن داوود المنسوب بالآثاري لأنه كان كثير التردد على أمكنة الآثار النبوية وكانت وفاته سنة 828هـ.

أودعه في مجموعة نظم ذكرها حاجي خليفة بحرف الميم من كشف الظنون وقال بشأنها ما نصه:

«مفتاح باب الفرج: مجموعة نظم للشيخ شعبان بن محمد أوله:

«الحمدلله الذي جعل مدح الرسول سبباً إلى بلوغ المأمول... إلى آخره» قصد به تنويع البدائع، ورتبه على مقدمة وعشرة أقسام وخاتمة، وذكر في المقدمة أربعين حديثاً، وذكر في القسم الأول تخميس بانت سعاد، وفي الثاني تخميس البردة وهكذا، وجعل الأقسام كلها قصائد في مدحه عليه الصلاة والسلام».

افتتح الآثاري تخميسه للقصيدة الكعبية بقوله:

قـل للعواذل مهمـا شئتم قـولـوا فليس لي بَعْدَ من أهواه معقـول
ناديت يوم النـوى والدمع مسبول (بانت سعاد فقلبي اليـوم متبول)
متيم إثـرهـا لم يفـد مكبـول

يوجد تخميس الآثاري مخطوطاً بدار الكتب المصرية وبالجزائر.

(3)

تنفيس الشدة وبلوغ المـراد
فـي تخميس بـانت سـعاد

لنجم الدين محمد بن عبد الله بن عبد القادر السكاكيني الواسطي المتوفى سنة 834.

ذكره ابن العماد في الشذرات (7 :225) وبروكلمان في تاريخ الأدب العربي (1 :161) من الترجمة العربية.

يوجد مخطوطاً بليدن.

(4)

تخميـس السكتـانـي

هو أبو مهدي عيسى بن عبد الرحمان الرجراجي السكتاني المتوفى سنة 1062هـ.

يوجد مخطوطاً بالجزائـر.

(5)

تخميس النجار

هو محمود النجار المتوفى سنة 1088هـ على التقريب.

يوجد مخطوطاً ببرلين، أخبر بذلك بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (161:1).

(6)

تخميس صدقة الله

هو صدقة الله القاهري المتوفى سنة 1115هـ.

يوجد مخطوطاً ببرلين، أخبر به بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» (161: 1).

(7)

تخميس التافلاتي

هو محمد بن محمد المغربي التافلاتي الأزهري الخلوتي المتوفى بالقدس سنة 1191هـ.

يوجد وشرحه عليه السابق الذكر في مخطوطة دار الكتب المصرية السابقة الذكر عند الكلام على شروح بانت سعاد.

(8)

تخميس الشيخ يوسف القصري

(من القرن الثاني عشر الهجري)

انظر ما علقه عليه الدكتور السيد إبراهيم في كتابه «قصيدة بانت سعاد» (ص 287 -288).

(9)

تخميس الجرجاوي

هو أحمد بن محمد الشرقاوي الجرجاوي المتوفى سنة 1220هـ.

يوجد مخطوطاً بدار الكتب المصرية.

(10)

تخميس الدجانيّ

هو حسن بن سليم بن سلامة الحسينيّ الدجاني المتوفى سنة 1274هـ.

ذكره الزركلي في أعلامه (2: 239)

(11)

تخميس الشيخ الباجوري

هو إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري التوفى سنة 1277هـ.

يوجد مخطوطاً بدار الكتب المصرية.

(12)

تخميس الماريني

هو فخر الدين عثمان بن علي المارديني.

يوجد مخطوطاً بتوبنجن، أخبر به بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» (1: 161).

(13)

تخميس شمس الدين البدماصي

يوجد مخطوطاً بباريس، أخبر به بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» (1: 161).

(14)

تخميس خليل الأشرفي

يوجد مخطوطاً بالموصل، أخبر به بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» (1 :161).

(15)

تخميس مجهول الناظم

يوجد مخطوطاً بجوتا وباريس وبالمكتب الهندي، أخبر به بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» (1 :161).

تشطيــــرات
علــى بانــت سعــاد

وعمل على بانت سعاد تشطيرات وقعت منها على ما يأتي:

(1)
تشـطير أغـا الخليلـي

كانت وفاته سنة 1180هـ على التقريب.

ذكره بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» (جـ 1 ص 161) من الترجمة العربية.

(2)
تشـطير عبد الرزاق الجنـدي

كانت وفاة الجندي سنة 1189هـ.

ذكره بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» (جـ 1 ص 161).

(3)
تشـطيـر الرافعــي

هو عبد القادر بن عبد اللطيف بن عمر الرافعي الطرابلسي المتوفى سنة 1230هـ.

قال في طالعتـــه:

بـانت سعاد فقلبي اليـوم متبـول [والنوم والسهد مقطوع وموصول]
[والجسم بعد سعاد مُدْنَفٌ وَصِبٌ] متَيّم إثــرهــا لم يفــد مكبــول

واقرأ تشطير الرافعي هذا في كتابه: «نيل المراد، في تشطير الهمزيّة والبردة وبانت سعاد» المطبوع في مصر ثلاث طبعات سنة 1315/ 1327/ 1369هـ.

(4)

اللؤلـؤ الرطـــب المحلّي جيد قصيدة كعب

هو عنوان تشطير على قصيدة بانت سعاد يقع ضمن شـرح كبير على أبيات القصيدة الأصل وعلى التشطير لمؤلف مجهول كان ينقل في شرحه هذا عن حاشية عبد القادر البغدادي الذي توفي سنة 1093هـ.

وهذه طالعة التشطيـر:

بـانت سعاد فقلبي اليـوم متبـول [مُـدَلَّهٌ حـائـر والعقـل معقـول]
معـذَّبٌ في هواهـا هـائم دَنِفٌ] متيم إثــرهــا لم يفــد مكبــول

وأُحِيل في شأن هذا التشطير مرة ثانية على الدكتور السيد إبراهيم في كتابه: «قصيدة بانت» ص 128 -130 وص 282 -283 كما أحلت عليه من قبل في شأن شرحه عند الكلامِ على شروح بانت سعاد.

التضميـــن مـن بانت سعـاد

انتزع المقلدون لبانت أشطاراً وعبارات منها ضمنوها قصائدهم تَفَنُّناً منهم بحسن إيرادها، فَلْنَنْتَقِ من ذلك ما جادت فيه الصنعة، وحسن إيراده بموضعه، وبِقَدْرِ التمثيل، من غير أن نستقصي في ذلك أو نبالغ فيه.

قال أثير الدين أبو حيان الأندلسي يذكر شدة المسلمين على أعدائهم في الحروب:

هيجاء يُشْرِف فيها المَشْرَفِيُّ على هام العِدَا وَلِسُحْبِ النَّقْعِ تظليل
تُدِير كـأسَ شَعُوبٍ في شُعُـوبهم [فكلُّهم مُنْهَـلٌ بِالمـوتِ مَعلُول]

العجز من البيت الثاني مأخوذ من قول كعب في البيت الثالث من بانت سعاد:

تجلو عوارض ذي ظَلْمٍ إذا ابتسمت كـأنـه مَنْهَـلٌ بِـالـرَّاحِ معلول

وقال الجمال بن نباتـة:

إن لم أنل عملاً أرجو النجاة فلي [من الرسول بـإذن اللَّه تَنْويـل]

أخذه من البيت الأربعين من بانت سعاد، وهو:

لـظلّ يـرعـد إلا أن يكـون لــه من الـرسـول بـإذن اللَّه تـنـويــل

وقال أيضاً يذكر كعباً، ويعترف بتقصيره عنه في مديح الرسول عليه الصلاة والسلام، وهو ختام معارضته:

إن كان كعب بما قد نال ضَيفك في	دار النعيم فلي بالباب تطفيل
وأين كابن زهير لي شَذَا كَلِمٍ	ربيعها بغمام القرب مطلول
بانت مَعَاذِيرُ عجزي عن مَدَاهُ وعن	[«بانت سعاد» فقلبي اليوم متبول]

مزج فيه التورية بالتضمين.

وضمَّن العز الموصليّ معارضته ثلاثة أعجاز من القصيدة الكعبية فقال:

يا أكرم الخلق يا أعلى الأنام ويا	خير البريّة يا من قربه السول
كن لي شفيعاً إذا ما قمت من خجَلٍ	[وقيل إنك منسوب ومسئول]
وقد صمتٌّ لعجزي في الجواب فلم	[أنطق وإن كثرت فيّ الأقاويل]
أنت الشفيع بتقدير الإله لنا	[وكلّ ما قدر الرحمان مفعول]

ومن تضمينات ابن أبيك:

بي هـزَّةٌ وهُزَالٌ من تذكركم	كالسيف والرمح مهزوز ومسلول
ومعطفي ينثني عند الثنا طَرباً	[كأنه مُنْهَلٌ بالراح معلول]

ومنها أيضاً قوله:

إن قدّر اللّه بعد البعد وصلكم	[فكل ما قدّر الرحمان مفعول]

وقال يزهّد في الدنيا ويحذّر باطلها:

وقد مللت من الدنيا مواصلة	كذلك وصل قرين السوء مملول
في كلّ يوم تمنيني بموعدها	[وما مواعيدها إلا الأباطيل]
وفي زخارفها لا شكّ زَهَّدني	[علمي بأني موقوف ومسئول]

التضمين في عجزي البيتين الثاني والثالث.

وقال المجد الفيروزآبادي من معارضته:

يا صاحبيّ إذا بان الصبا وغدا	فوْدِي ومعلومه بالشيب مجهول

فَلاَ سبتني مَهاةٌ كُحْلُها كَحَلٌ | وجفنها فيه تكسير وتكسيل
ولا أشارت سُلَيْمَى بالسلام ولا | زارت فتاها وعَقْدُ الشعر محلول
ولا حلت بالغضا للقلب غانية | [ولا أغنّ عضيض الطرف مكحول]

عجز البيت الرابع تضمين من قول كعب في البيت الثاني من بانت سعاد:

وما سعاد غداة البين إذا رحلوا | إلا أغنّ غضيض الطرف مكحولُ

وقال الشمس النواجي يذكر متابعته لكعب في مديح الرسول عليه الصلاة والسلام رجاء أن يتلقّى منه ذلك بالرضا وحسن القبول:

كعب له في مديح المصطفى قَدَمٌ | سَبَّاقة وبخير الخلق تفضيل
وإن نَسجت على مِنْوَالِ بُرْدَته | طِرَازَ مدح له بالدُّرِّ تكليل
فإنه كان مفتاحاً لباب هدى | لنا به في ديار الخلد تأهيل
إن لم أفز بقَبُولٍ في متابعتي | [«بانت سعاد» فقلبي اليوم متبول]

ويلحظ أن النواجي مزج التورية بالتضمين في عجز البيت الأخير نظير ما فعله من قبله ابن نباتة السابق الذكر في العجز نفسه.

وقال القاضي بهاء الدين الباعوني يعاتب نفسه في تقصيرها ويلومها على التمادي في الغرور، ويذكر تقلبها في أهوائها ونقضها المواثيق مرة بعد أخرى:

يا نفسُ كم ذا التواني والشباب مضى | كأنما القلب بالعصيان مجبول
كم ذا التهاون من إحدى لثانية | ما اللهو واللّه عند النفس مملول
ما تمسك العهد إن تابت وإن رجعت | [إلا كما تمسك الماءَ الغرابيلُ]
لها من الغَدْرِ أنواع مُلَوَّنَةٌ | [كما تَلَوَّنُ في أثوابها الغول]

موضع التضمين العجزان من البيتين الثالث والرابع.

بانت سعاد
في أصوات الغناء

لم يتحرج بعض من يحترفون الغناء من أن يصنعوا غناء على بعض أبياتها الغزلية، وذاك ما أخبر به أبو الفرج الأصفهاني في أغانيه (جـ 17 ص 81 من طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر) فقال ما نصه:

«صوت»

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيم عندها لم يجز مكبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا   إلا أغن غضيض الطرف مكحول

الشعر لكعب بن زهير بن أبي سلمى المُزَنِي، والغناء لابن محرز، ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو بن بانة والهشامي.

بانت سعاد
تسنّ إجازة الشعراء

من مآتي الرسول الحميدة، وكل مآتيه حسن حميد، ما حكاه الرواة والأخباريون أنه ﷺ أجاز كعباً على قصيدته «بانت سعاد» بأن ألقى إليه ببردة كانت على جسده الشريف وزاد على ذلك أن وهبه مائة من الإبل، فاعتبر ذلك حجة في سنيّة الجائزة على الشعر، وفي هذا الشأن يقول أبو إسحاق الغَزِّي:

جحود فضيلة الشعراء غيّ ... وتفخيم المديح من الرشاد
محت «بانت سعاد» ذنوب كعب ... وأعلت كعبه في كل ناد
وما افتقر النبيّ إلى قصيد ... مُشَبِّبة بِبَيْنٍ من سعاد
ولكن سنّ إسداء الأيادي ... وكان إلى المكارم خير هاد

واتخذ الأحوص الشاعر ذلك وسيلة في اقتصائها من الممدوح تَهَدِّياً بما فعله الرسول عليه السلام، فحكوا عنه أنه وكُثيّراً ونُصَيْباً وفد ثلاثتهم على عمر بن عبد العزيز الخليفة الأُمويّ العادل، فلما دخلوا عليه استأذنه الأحوص في الإنشاد فأذن له فيه على ألا يقول إلا حقاً فأنشده قصيدة يقول فيها:

وقبْلَك ما أعطى هُنَيْدَةَ جلّة ... على الشعر كعباً من سدِيسٍ وبازل
رسول الإله المستضاء بنوره ... عليه سلام بالضحى والأصائل

قصـــة البـــردة

يأتي بإزاء القول في الاستجازة بالقصيدة الكعبية القول في البردة التي أجاز بها الرسول عليه السلام صاحبها عند إنشادها، وإلى ذلك القصد فيما يأتي:

يحدثنا العديد من كتاب السيرة ومن المؤرخين والأخباريين وأهل الأدب وبروايات مختلفة أن رسول الله ﷺ ألقى إلى كعب بن زهير ببردة كانت على جسده الشريف عند إنشاده قصيدة بانت سعاد، فكان كعب رضي الله عنه يضَنّ بها أن تصير لغيره وهو بقيد الحياة، وأنها دامت عنده إلى خلافة معاوية رضي الله عنه، فساومه فيها بمال كثير فأبى، فلما توفي كعب ألح معاوية على آله حتى أخذها منهم بما أرضاهم، ثم كان بعْدُ أن استن الخلفاء الأمويون من بَعده أن يلبسوها في الأعياد وأن يجعلوها من شارات الملك والدين.

ويخبرنا راوٍ صدوق أنه رآها على هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي فيما نقله صاحب المواهب اللدنية مَمْزوجاً بشرح الزرقاني عليها (جـ 5 ص 25 -26) فقال ما نصه:

«عن مَعْـن بن عيسى بن يحيـى الأشجعيّ، مولاهم المدني القزّاز، ثِقَةٌ ثَبْتٌ، قال أبو حاتم: هو أثبت أصحاب مالك، مات سنة ثمان وتسعين ومائة، قال: حدثنا محمد بن هلال المدني، صدوق، توفي سنة اثنتين

وستين ومائة، قال: رأيت على هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي أحد ملوك بني أمية برد النبي ﷺ من حِبَرَةٍ بـزنة عنبة، له حاشيتَان. . .».

ولأبي عُبَادَة البحتري الشاعر قصيدة يمدح فيها المتوكل العباسي ويصف خروجه للمصلى يوم عيد الفطر من سنة 235هـ ويُنَوّهُ بخطبته على المنبر في ذلك اليوم المشهود فيقول فيها ذاكراً للبردة:

أيّدت من فصل الخطاب بخطبةٍ   تنبي عن الحق المبين وتُخْبِرُ
ووقفت في بـرد النبي مذكِّـراً   بـالـلّه تـنـذر تـارة وتـبـشـر
بمواعظ شَفَتِ الصدور من الذي   يعتـادهـا، وشفـاؤهـا متعـذر
حتى لقد علم الجهول وأخلصت   نفس المُـرَوِّي واهتـدى المُتَحَيِّر

والقصيدة بكاملها في ديوان البحتري (ص 1070-1073 من المجلد الثاني في طبعة الذخائر.

وبالرغم من استفاضة الخبر عن هبة البردة في كتب السير والتاريخ والأدب والأخبار نجد المؤرخ المحدث عماد الدين أبا الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير المتوفى سنة 774هـ يتشكك في أمر البردة وينبىء عن تشككه في كتابه البداية والنهاية (جـ 4 ص 373) بعد أن سرد قصة إسلام كعب وما كان من إنشاده قصيدته بانت سعاد بين يدي الرسول عليه السلام فيقول ما نصه:

قلت: ورد في بعض الروايات أن رسول الله ﷺ أعطاه بردته حين أنشده القصيدة، وقد نظم ذلك الصرصريّ في بعض مدائحه، وهكذا ذكر ذلك الحافظ أبو الحسن ابن الأثير في الغابة، قال: وهي البردة التي عند الخلفاء.

قلت: وهذا من الأمور المشهورة جِدّاً، ولكن لم أر ذلك في شيء من هذه الكتب المشهورة بإسناد أرتضيه، فالله أعلم».

ودامت البردة في كلاءة العباسيين عن إرث من بني أمية إلى سقوط

خلافتهم ببغداد سنة 656هـ، فقيل إنها يومئذ وقعت بأيدي التتار المفسدين فأتلفوها تمزيقاً وإحراقاً، وقيل: إنها أخفيت عنهم، ثم هُرِّبت إلى مصر، فكانت عند الخلفاء العباسيين بها إلى أن استولى الأتراك العثمانيون على مصر. فعادوا بها معهم لتحفظ مع المخلفات النبوية الأخرى في السراي القديمة بالعاصمة، وذلك ما ذكره عنها جرجي زيدان بالمجلد الأول ص 136 من تاريخ التمدن الإسلامي.

بـانت سـعــاد
فـي بـابـة التوسـل والبركـة

التوسل إلى الله العظيم الكريم بالرسول الشفيع الوجيه مظنة حصول الخير إن شاء الله، وما أكثر الأسباب التي توسل بها الراغبون في مرضاة الله ومرضاة رسوله، ولقد كان المديح النبويّ من أرجى الأسباب، في بلوغ الآراب، ومنه كانت قصيدة بانت سعاد التي سمعها الرسول من قائلها بمسجده، وفي حضرة أصحابه المهاجرين منهم والأنصار، وتقبلها منه. وعفا عن سوابقه من أجلها، ثم أثابه عليها بأن خلع عليه بردة كانت على جسده الشريف، فلا جَرَم أن تولع بها الشعراء والأدباء واللغويون يضاهونها بالمعارضات، ويضعون عليها الشروح والحواشي، وينتقونها في الاختيارات تيمناً بها وَاسْتِنْزَالاً لبركاتها.

يقول جمال الدين أبو محمد عبد الله بن هشام الأنصاري النحوي وهو أحد شراحها المحققين في طالعة شرحه عليها ما نصه:

«والذي دعاني إلى هذا التأليف غرضان سَنِيَّانِ: أحدهما التعرض لبركة من قيلت فيه ﷺ، والثاني إسعاف طالبي علم العربية بفوائد جليلة أوردها، وقواعد عديدة أسردها، وبالله تعالى المستعان، وعليه التكلان».

والتعرض لبركات بانت سعاد هو ما كان إليه الصمود من شراحها المعدودين بالعشرات، وهو أيضاً ما قصد إليه المقلدون لنموذجها. كما ينطق عـن ألسنتهم ابن عبد الظاهر أحد معارضيها إذ يقول:

لقد قال كعب في النبي قصيدة وقلنا ـ عسى في فضله نتشارك
فإن شملتنا في الجوائز رحمة كرحمة كعب فهو كعب مُبارك

وهو كذلك ما ابتغاه محمد بن المبارك بن ميمون البغدادي، إذ جعلها فاتحة مجموعه الذي أوعى فيه ألف قصيدة من المختار، وسماه: «منتهى الطلب، من أشعار العرب» وأعلن عن نيّته في ذلك فقال:

«ولما أردت أن أجمع هذا الكتاب على ترتيب الشعراء وتقديم بعضهم على بعض لم يمكن، لأنه ليس يتفق أن أقف من ذلك على ترتيب فأعذر في ذلك، وإنما قدمت كعب بن زهير وختمت بهاشميات الكميت تَيَمُّناً وتبرُّكاً بمدح رسول الله ﷺ في قصيدة كعب بن زهير وذكره في شعر الهاشميات التي ختمت بها هذا الكتاب».

ومن الرؤى المبشرة في شأنها ما أورده المقري في نفح الطيب. (جـ 2 ص 689 في نشرة إحسان عباس) حكاية عن أبي جعفر الإلبيري قال:

«حدثني بعض شيوخنا بالإسكندرية بإسناده أن بعض العلماء كان لا يستفتح مجلسه إلا بقصيدة كعب، فقيل له في ذلك فقال: رأيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله: قصيدة كعب أنشدها بين يديك؟ فقال: نعم، وأنا أحبها، وأحبّ من يحبها، قال: فعاهدت الله أني لا أخلو من قراءتها كل يوم».

بـانت سـعاد بأقـلام معاصـرة

نبتدىء القول فيما كتبه المعاصرون والمحاذون لهم في الزمن بما كتبه الأستاذ كارلونا لينو المستشرق الإيطالي الشهير في كتابه: تاريخ الآداب العربية، من الجاهلية حتى عصر بني أمية (ص 104 -105) عندما تحدث عن شعر المديح النبويّ في صدر الإسلام فقال ما نصه:

إن الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في أوائل ظهور الإسلام أو في أيام الخلفاء الراشدين يجوز تقسيمهم إلى ثلاثة أصناف بالإضافة إلى الدين الإسلامي:

أولاً: الذين قالوا الشعر في مدح النبي سواء أسلموا أو لم يسلموا، فأكثرهم وأشهرهم من أهل المـدر الذين كانوا يفدون في الجاهلية على الملوك.

ثانياً: الشعراء الذين قالوا في رثاء الكفار وهجاء النبي، وأغلبهم من أهل مكة.

ثالثاً: شعراء أسلموا ولم يهتموا بأمور النبي والدين، وهم أكثر شعراء أهل البادية.

ومن الصنف الأول كعب بن زهير، والأعشى، وحسان بن ثابت السابق ذكره، فإن تأملتم أشعارهم وجدتم بينهم فرقاً بالإضافة إلى الإسلام، لأن كعباً

وهو بدوي الأصل مدح النبي سنة 9 هـ بقصيدة شهيرة ألّفها على منوال قصائد أهل البادية في مدح سادتهم، فلولا البيتان:

نبئت أن رسول اللّه أوعدني والعفو عند رسول اللّه مأمول
مَهْلاً هداك الذي أعطاك نافلة آلْـقرآن فيها مواعيظ وتفصيل

والبيت الثالث:

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف اللّه مسلول

لقلنا: إنه إنما أراد قائداً أو سَيّداً من قومه لَا نبيّاً جليلاً أتى بدين جديد، ثم في نفس القصيدة مدح المهاجرين فلم يصفهم إلا بالحماسة والشجاعة، فَشَتَّانِ ما بين أسلوب هذه البُرْدَة البدويّة وبين العواطف والعبارات الدينيّة التي تتحلى بها بُرْدَة الشيخ البوصيري، وفي قصيدة أخرى مدح كعب الأنصار، ولم يجعل فيها بيتاً يخرج عن منهج المدح البدويّ ويشير إلى محاسن الدين الإسلامي...».

ذلك رأي المستشرق المذكور في كعب ونمط شعره، وإذ كنت بصدد عرض آراء المعاصرين في القصيدة الكعبيّة ليس إلاَّ، فَلأَمْضِ إلى ما جاء به غيره من حكم لها أو عليها من غير أن أقف مع أيٍّ منهم موافِقاً لِما جاء به أو مخالفاً فيه.

بقلم طه حسين

عرض طه حسين لبانت سعاد وصاحبها بِذَرْوٍ من القول في كتابه «في الأدب الجاهليّ» ضمن الكتاب الخامس منه (ص 290 -292) وهو يتحدث عن الشعر المضريّ وعن الشعراء المضريين الكبار الذين كانوا ينتهجون في عمل الشعر نهجاً يقتدي بهديه لاحقهم عن سابقهم أو ما يمكن أن نسميه المدرسة الأوسيَّة، ومنهم كان كعب بن زهير الذي يقول عنه ما نصه:

«إن الرواة يجهلون حياته جهلاً تاماً، ولا يكادون يعرفون منها إلا أنه

كان حريصاً على قول الشعر، وكان أبوه يزجره عن ذلك ويضربه، فلا يزيده الزجر والضرب إلا كَلَباً بقول الشعر حتى ضاق به أبوه فأردفه على ناقته وانطلق به إلى الصحراء وأخذ يقول البيت ويستجيز ابْنَهُ فيجيز حتى استوثق أبوه من أنه يستطيع أن يكون شاعراً فأذن له في قول الشعر. . .».

ثم يقول طه بعد ذلك مُقَوِّماً ومتشككاً، كدأبه فيما يتعلق برواية الأشعار وأخبار الشعراء ما نصه ببعض اختصار:

«وقصة كعب مع النبي معروفة، لسنا في حاجة إلى أن نذكرها، وإن كان دخل فيها النحل وعبث الرواة فيما نظن. فنحن نشك فيما يقال من أن كعباً عرَّض بالأنصار ثم مدحهم، كما أننا نقف موقف التحفظ من قصة البردة، ولكننا على كل حال مدينون لهذه القصة بما نستطيع أن نكون لأنفسنا من رأي في شعر كعب، فلم يكد يَبقى لكعب إلَّا «بانت سعاد»، (قال ذلك طه سنة 1927م وقد اكتشف ديوان كعب بَعْدُ، ثم طبع سنة 1950م) على ما كثر من عبث الرواة بها وإضافتهم إليها، وهي على هذا كله مطبوعة بطابع أوس وزهير: فيها الاعتماد على الصور المادية، وفيها الأناة والعناية الفنية الظاهرة، واقرأ أول هذه القصيدة فسترى في غزلها ووصفها ما تعودت أن ترى عند أوس وزهير من التشبيه المحقق والوصف الماديّ، وربما رأيت في الوصف «تأثراً شديداً بأستاذ المدرسة الأول واقتداءً به في إيثار الألفاظ الضخمة الغريبة. . .».

«وأمر الوصف في هذه القصيدة كأمر الغزل لولا أن الغريب فيه كثير كما قدمنا. . .».

فأما المدح ففيه هذه الصور الماديّة أيضاً، ولكن النحل فيه كثير، وفيه ما يذكر بمدح النابغة للنعمان بن المنذر واعتذاره إليه، ولو قد حفظ من شعر كعب شيء (قد نبهت آنفاً على أن الديوان قد عثر عليه وطبع) لكان الدليل على تأثره بأبيه وبأوس أظهر وأفصح، ولكنه على كل حال واضح إن نظرت في القصيدة نظرة تفكير ولو قصيرة».

ساعة مع كعب بن زهير

هذا عنوانُ بَحْثٍ كتبه طه حسينِ عن كعب بن زهير، ونشره أولاً بجريدة الجهاد في 3 أبريل من سنة 1935م ثم أعاد نشره بالجزء الأول (ص 114 -125) من مجموع أبحاث في ثلاثة أجزاء سماها: «حديث الأربعاء».

ابتدأ البحث بالخبر عن كعب وأخيه بجير أنهما خرجا معاً يقصدان إلى الرسول عليه السلام، حتى إذا كانا بأبرق العزاف أقام كعب هناك ووفد بُجَيْر على الرسول ليرى ما عنده من أمر الدين الجديد ثم يعود بخبره إلى أخيه كعب، وكان ما كان من إسلام بجير، وعَتْبِ أخِيه كعب عليه في ذلك إلى آخر الخبر الذي انتهى بوفود كعب على الرسول مُسْلِماً، وعفو الرسول عنه، وسماعه منه قصيدة «بانت سعاد»، وإجازته عليها، حتى إذا انتهى من ذلك علق عليه قائلاً:

«فأَنت ترى أن هذه القصة من أولها جميلة رائعة، حلوة، محببة إلى النفوس حقاً، وسواء أصَحَّتْ كلها أم لم تصح إلا في جملتها فإنها تهيىء لقصيدة كعب جوّاً شعرّياً ملائماً كل الملاءمة لمكان الممدوح ﷺ من البأس أول الأمر، ثم من العفو والحلم بعد ذلك، ثم من الكرم والجود آخر الأمر».

ثم استأنف الكلام عن القصيدة فقال:

«وأنا حين أقرأ قصيدة كعب أراها تأتلف من ثلاثة أجزاء متباينة في ظاهر الأمر، ولكنها مؤتلفة أحسن الائتلاف في حقيقة الأمر، لولا أني أكاد أرجح أن جزءاً منها قد كثر فيه عبثْ الرواة.

فأما أولها فهو هذا الغزل الذي قصد إليه كعب في أول القصيدة كما تعود الشعراء أن يفعلوا، وأما الثاني فهو هذا الوصف الذي انتقل إليه كعب بعد الغزل كما تعود الشعراء أن يفعلوا أيضاً، وأما المدح فهو الذي أنشئت القصيدة من أجله، وانتهت القصيدة إليه. . .».

ويبدأ طه التعليق على أجزاء القصيدة فيذكر تأثر كعب بأبيه زهير في غزلها، ثم يعود بالأمر آخِراً إلى النموذج الأوسيّ وطابعه عليها.

فأما الوصفُ وصْفُ الناقة وهو الجزء الثاني منها فإنه قد أعفى نفسه وقارئه من التعليق عليه قائلاً:

«وأنا أريد أن أعفيك وأن أعفي نفسي من حديث الناقة، فإن لي فيه آراء لعلك لا تطيقها، وقد قال كعب في ناقته ما قال، وما أراد المتكلفون له أن يقول مما تستطيع أن تقرأه وتدرسه إذا شئت، ومما لا أكره أن أدرسه معك إذا أحببت، ولكن على مذهبي الذي تعرفه، قال صاحبي: وقانا الله شر هذا المذهب، فإني لا أرتاح إليه».

وأما الجزء الثالث من القصيدة، وفيه التنصل من الذنب، ومديح الرسول، وبعده مديح المهاجرين القرشيين، فقد أوجز التعليق عليه، ثم ختم البحث بتفخيم القصيدة الكعبية فقال يحاور صاحبه:

«قال صاحبي: إن مما يحزن حقاً أن يذهب شعر كعبٍ، فما أشك في أنه لو بقي لنا لبقي لنا شعر رائع حقيق بالإعجاب، قلت: حسبه هذه، فما أرى إلا أن مدحه فيها يعدل مَدْحَ زهير كله».

قلت: قد قال طه ذلك سنة 1935م من قبل أن يعثر على ديوان كعب، وقد عثر عليه من بعد، وقامت بطبعه دار الكتب المصرية سنة 1950م.

والبحث هذا خفيف وظريفٌ أكثر مما هو رصِين ودقيق، وهذا التعليق ليس من عندي، وإنما أوجزت في عبارته معنى ما اعتذر به الكاتب عَمَّا قد يبدو في فصول المجموع من تقصير فقال وهو يقدِّم المجموع للقراء ما نصه من جملة الاعتذار:

«... إنما هي فصول كانت تنشر في صحيفة سيارة ليقرأها الناس جميعاً، فينتفع بقراءتها من ينتفع، ويتفكّه بقراءتها من يتفكّه، ولم يكن بدّ

لكتابتها من أن يتجنب التعمق في البحث، والإلحاح في التحقيق العلمي، إذ كانت الصحف السيارة لا تصلح لمثل هذا. . .».

وأصدر الأستاذ فؤاد أفرام البستاني عدداً من سلسلة الروائع برقم: (32) خصه بالحديث عن كعب بن زهير وعن قصيدته «بانت سعاد»، فلننقل للقارىء ما كتبه بشأن القصيدة ونباهتها وسيرورتها فقال:

لا نغالي إذا قلنا: إنه ليس من قصيدة عربية نالت ما نالته قصيدة كَعب من اهتمام النحويين واللغويين والمستشرقين كذلك، ولا غرابة في الأمر والمادح من ذوي التأثير في عصره، والممدوح نبي الإسلام، والقصيدة قيلت في زمن كان فيه النبيّ بحاجةٍ ماسّة إلى اهتداء شاعر معروف إلى الإسلام، وانخراطه في سلك الشعراء المدافعين عنه، وكم كان يهتم بزيادة عددهم في تلك الحرب الهجائية، وما هو إلا أن دونها مؤرخو النبيّ حتى أصبحت جزءاً من سيرة الرسول، ولم تلبث أن نالت حظاً من الكرامات والفضائل، وإذن فليس بعجيب أن يتبارى الشراح في التعليق عليها، ويتنافس الشعراء والنظام في معارضتها وتشطيرها وتخميسها حتى جاوزت آثارهم الخمسين. . .».

ذلك ما قاله في التعريف بها والإعلام بنباهتها وسيرورتها، ولكنا وجدناه عندما تكلم عن قيمتها الشعرية جَنِفَ عليها جَنَفاً كثيراً وغبنها غبناً مكشوفاً، فضربنا صفحاً عن إيراد ما قاله بذلك الصدد، لأن إيراده يستدعي مناقشته فيه والمناقشة في ذلك تؤدي إلى الإطالة التي لا يتسع لها المقام.

وعُنِي كارل بروكلمان بالقصيدة الكعبية وبما يمتُّ إليها بصلة، فترجم صاحبها، وأحال على مصادرها، وأخبر بنشراتها، وأحصى ما وقف عليه من شروحها، وذكر ما عرفه من تخميساتها وتشطيراتها ومعارضاتها، وضمن ذلك كتابه تاريخ الأدب العربي (جـ 1 ص 156 - 162) في ترجمته العربية بعناية الدكتور عبد الحليم النجار.

ولن أسترسل في عرض ما كتبه المعاصرون ومُحاذُوهم بشأن القصيدة الكعبيّة، ولكن في ذمتي للعلم أن أُحِيل القـارىء على البحث الجاد الرصين الذي حرَّره الدكتور السيد إبراهيم محمد المدرس بجامعة حلوان، والذي كان قدمه رسالة لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الإسكندرية بعنوان: «قصيدة بانت سعاد، لكعب بن زهير، وأثرها في التراث العربي»، الصادر عن المكتب الإسلامي في طبعته الأولى سنة 1986م، وإنه لبحث جدير بالقراءة، ومفيد تمام الفائدة في موضوعه، وقد سبق أن أشرت إليه في تقديم هذه الأخبار عن بانت سعاد.

بانت سعاد
في لغات أعجمية

اعتنت طائفة من المستشرقين من مختلف الجنسيات بترجمتها إلى لغاتهم، فظهرت في عدة لغات نذكر منها ما أخبر به بروكلمان في ترجمة كعب من كتابه «تاريخ الأدب العربي»، وما ذكره فؤاد أفرام البستاني في العدد الذي خص به كعباً من سلسلة الروائع، ثم ما وقفت عليه منها في كتاب «المستشرقون» لنجيب العقيقي.

في اللاتينية

من ترجماتها ترجمة لاتينية من عمل المستشرق ليته نشرت بليدن سنة 1748م مصحوبة بنصها العربي ومقدمة وشروح.

في اللاتينية أيضاً

ونقلها أيضاً إلى اللاتينيّة المستشرق فريتاخ ومعها نصها العربي مع تقديم وشروح، ونشر ذلك بهالـه سنة 1833م.

في الألمانية

لها ترجمة شعرية إلى الألمانية من عمل روكيرت فريدريك أصدرها سنة 1849م.

في الألمانية أيضاً

ولها أيضاً ترجمة نثرية إلى الألمانية من عمل جورج ويل أدرجها في ترجمته لسيرة ابن هشام.

في الإنجليزية

ونقلها إلى الإنجليزيّة السير وليام ريد هاوس، وطبعت متناً وترجمة ضمن مجموعة كلوستون عن الشعر العربي للقارىء الإنجليزي سنة 1881م.

في الإيطالية

ولها ترجمة إلى الإيطالية من عمل المستشرق الإيطالي جابرييلي جوزيبي طبعت سنة 1901م.

في الفرنسية

ونقلها إلى الفرنسية المستشرق الفرنسي رُو وأصحب الترجمة بأشياء من شرح الباجوري عليها، وأصدر ذلك بباريز سنة 1904م.

في الفرنسية أيضاً

وترجمها أيضاً إلى الفرنسيّة المستشرق الفرنسي روني باسيه ومعها ترجمة مبسوطة لصاحبها ومواضع من شرحي أبي سعيد السكري وأبي موسى الجزولي عليها، وطبع ذلك بباريز سنة 1910م.

في البولونية

ولها ترجمة إلى البولونية قام عليها المستشرق البولوني سكوبا - پيكوسلاوسكي وطبعت بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت سنة 1931م.

في الفارسية

من أعرف ترجماتها في الفارسية ترجمة الكاملي، وهي مطبوعة في لكنو مع شرحها لعبد الحافظ محمد نظير سنة 1875م.

في الفارسية مرة أخرى

ومن ترجماتها في الفارسية ترجمة محمد جعفر، وهي توجد مخطوطة في پنكيپور.

فـــي التركيـــة

وترجمها إلى التركية ملحق زاده، وتوجد ترجمته مخطوطة بإحدى مكتبات استامبول.

في التركيـــة أيضاً

ولها أيضاً ترجمة تركية تختزنها مكتبة أيا صوفيا.

فـــي الهندستانيّـــة

من عمل ذي العقار على دوبندي مع نصها العربيّ وشرحي ابن هشام والباجوري في طبعة صدرت بدهلي سنة 1900م.

فـــي الهندستانيـة أيضاً

في ترجمة نثريّة من عمل القاضي محمد صدر الدين في طبعة صدرت بلاهور سنة 1903م.

فـــي البنجابيّـــة

ولصدر الدين السابق الذكر فيها ترجمة شعريّة جعلها بِمَعِيَّة ترجمته النثرية السابقة الذكر.

نشــرات بـانت سـعاد

تعددت نشرات «بانت سعات»، وعني بنشرها مستشرقون وشرقيون من ذوي الاهتمام بالنصوص المأثورة، وقد اتفق أن كان المستشرقون السابقين في العناية بنشرها نصاً وترجمة على استقلال أو مع نصوص وأخبار مما يتصل بها، فَلْنَأْتِ من ذلك بما يدل على تلك العناية معتمدين مرة أخرى على تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، وعلى العدد الخاص بكعب من سلسلة الروائع لفؤاد أفرام البستاني، وعلى كتاب «المستشرقون» لنجيب العقيقي، مبتدئين بالناشرين الغربيين لأنهم الذين ابتدروا البداية.

نشــرات استشراقيــة

نشــرة ليتــه

صدرت في ليدن مَتْناً وترجمة لاتينيّة سنة 1748م بمقدمة وتعاليق ومعها معلقة امرىء القيس، ومنتخبات من أشعار الحكمة.

نشــرة فرايتــاجْ

أصدرها في بـنّ سنة 1822م.

نشـرة فرايتاخ الأخرى

أصدرها في هاله سنة 1833م متناً وترجمة لاتينية.

نشــرة جويـدي

صدرت في ليبزج مع شرح ابن هشام عليها سنة 1871 - 1874.

نشـــرة نولدكـــه

صدرت في برلين مع حواش وتعليقات سنة 1890م.

نشـــرة المستشرق الفرنسي رُو

صدرت في باريس سنة 1904م بترجمة فرنسية مع البعض من شرح الباجوري عليها.

نشـــرة روني باسيـــه

صدرت في باريس سنة 1910م نصّاً وترجمة فرنسية مع تعريف مبسوط بصاحبها، وشروح مقتطفة من شرحي السكري والجزولي عليها.

نشـــرة فريتز كرانكو

صدرت في ليبزج سنة 1911م مع شرح التبريزي عليها.

نشـرة سكوبا پيكوسلاوسكي

صدرت عن المطبعة الكاثوليكيّة في بيروت سنة 1931م نصاً وترجمة بولونية، ومعها تعليقات فيما يتصل باختلاف الروايات.

نشـــرات شرقيـــة

نشـــرة الشروانـــي

هي أقدم النشرات الشرقية، أودعها ضمن شرحه عليها المسمى بالكوكب الوقاد، والمطبوع بكلكتا سنة 1291هـ = 1816م.

طبعـات القاهـرة

صدرت أولاها عن بولاق بشرح ابن هشام سنة 1290هـ.

ثم تلتها طبعة أخرى بالقاهرة سنة 1304هـ بشرح ابن هشام مهمشاً عليها بشرح الباجوري، ثم تتابعت طبعاتها بالقاهرة فبلغت زهاء العشر.

نشرة عيد الأول جونبوري

صدرت في جونبور سنة 1318هـ.

نشــرة علي ذو الفقار

صدرت سنة 1900 مع ترجمة هندستانية.

نشـرة القاضي محمد صدر الدين

صدرت بلاهور سنة 1902 مع ترجمة هندستانية وأخرى بنجابية.

ثم لها من وراء ذلك طبعات في بيروت ويافا، وحيدرآباد، وبومباي وجهات أخرى.

لقد تداخل الكلام في إخبارنا بترجمات «بانت سعاد» ونشراتها بالرغم من عَزْلِنا كُلاًّ من الترجمة والنشر تحت عنوانه الخاص، لأن المترجم والناشر يكون واحداً أحياناً، وذلك ما أوقعنا في التكرار الذي لا تَلاَفِيَ له.

ختـــام

ذلك ما جمعته ثم لفقته من أخبار القصيدة الكعبية بانت سعاد خدمة قليلة للمـديح النبـوي في أم قصائـده، والحمد لله الـذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على محمّد وآله بقدر ما مدحه المادحون، وبقدر ما هو أهل للمديح آمين.

المحتـــوى

دار الغرب الإسلامي
بيروت - لبنان
لصاحبها: الحبيب اللمسي
شارع الصوراتي (المعماري) - الحمراء - بناية الأسود
تلفون : 340131 - 340132 - ص . ب . 5787 - 113 بيروت - لبنان
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI - B.P.:113-5787 - Beyrouth - Liban

الرقم 91/1/3000/162

التنفيذ: كومبيوتايب للصف الطباعي الالكتروني

الطباعة: AL-OLOÙM PRESS CO.
TYPESETTING, DESIGN, PHOTOGRAPHIC
REPRODUCTION, & PRINTING PRESS
Tel - 313681, Tlx 23166 malayin
P.O.Box 1085, Int'l Line + Fax 00357 9 515440
Beirut - Lebanon

Ahmed Cherkaoui Ikbal

Bānat So'uad

Poème de Ka'b ben Zuhair à la Louange du Prophète

Vues d'ensemble

Dar al-Gharb al-Islami